ذخائر العرب
٤٤

المعارف

لابن قتيبة

أبي محمد عبد الله بن مسلم
٢١٣ هـ (٨٢٨ م) – ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م)

حققه وقدّم له
دكتور ثروت عكاشة

الطبعة الرابعة

دار المعارف

ذخائر العرب

٤٤

المعارف

لابن قتيبة

أبي محمد عبد الله بن مسلم

٢١٣ هـ (٨٢٨ م) – ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م)

حققه وقدّم له

دكتور ثروت عكاشة

الطبعة الرابعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

١

لقد كان هذا الكتاب — كما قلت قبل فى مقدمة الطبعة الأولى — ثمرة من ثمار كثيرة لابن قتيبة الدينورىّ أبى محمد عبد الله بن مسلم ، وكانت تلك الثمار كلها تحمل طابع ذلك العصر الذى عاش فيه ابن قتيبة ، وهو الميل إلى التأليف الجامع لموضوعات مختلفة ، ثم الاستطراد فى كل موضوع ، وكان مرد هذا لا شك إلى اتساع النقل إلى العربية ، فلقد ترجمت فى ذلك العصر ، الذى أظل ابن قتيبة ، كثرة من الكتب عن اللغات الأخرى التى كان لها أثرها لا شك فى ظهور مناهج جديدة فى التأليف ، كان منها هذا المنهج الجامع الذى انتهجه ابن قتيبة كما انتهجه غيره من مؤلفى ذلك العصر ، كالجاحظ ، وابن عبد ربه .

وكما تأثر كتّاب ذلك العصر بهذا تأثروا بشىء مثله ، ولكنه كان له مظهر آخر ، فلقد كان ذلك العصر عصر إرهاب وفوضى خرج الأمر فيه من يد الخلفاء إلى يد الموالى الأتراك ، وأصبح هؤلاء الموالى هم الحاكمين حقًّا ، ولم تعد أمور الناس تجرى على طمأنينة وأمن ، بل عاشوا حياة يسودها الفزع والخوف ، الظَّفَرُ فيها لمن غَلَب .

فلقد أصبح هؤلاء الأتراك حرباً على الخلفاء ، وهم الذين استجلبوا ليكونوا درعاً لهم ، فإذا هم يقتلون منهم من لم يستجب لما يطمعون فيه ، وما كانَ طمعهم هذا لينتهى عند غاية ، فلقد أخذوا يقتلون من غير الخلفاء من يحسون فيه الميل إليهم أو الوقوف إلى جانبهم .

وأول ما كان لهم من عدوان منكر كان ذلك العدوان الذى راح ضحيته

المتوكل العباسى سنة ٢٤٧هـ ، وكان ابن قتيبة عندها قد جاوز الثلاثين بقليل ، ثم إذا هو يعيش بعد هذا ليشهد هذه الفوضى تمتد وتستفحل ويرى بعينيه مقتل المستعين بالله سنة ٢٥٢ هـ ، ثم مقتل المعتز بالله سنة ٢٥٥ هـ على أبشع صورة يدبرها قاتل لمقتول ، فلقد دخل عليه الأتراك فأوسعوه ضرباً وأحرقوا ثيابه ثم جروه برجليه إلى صحن الدار فى العراء حيث الشمس المحرقة ، وتركوه ملقى على الأرض يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة أذى الحر.

ومن بعد مصرع المعتز كان مصرع المهتدى بالله سنة ٢٥٦هـ على يد الأتراك ، ولقد شهده ابن قتيبة أيضاً كما شهده غيره مما سبق .

وكما كانت حياة الخلفاء كانت حياة الناس ، وكما عاش الخلفاء على رهب وفزع عاش الناس على خوف وحذر لايملكون أن يقولوا ولا أن يفصحوا ، وكانت هذه الحياة الرهيبة المسكتة للألسن لها هذا الأثر الثانى الذى أرادته ، ولكنه كان أثراً ذا مظهر آخر كما قلت ، مظهر يطوى تحته الخشية والتحرز ، فلم يعد الشعراء يملكون النفوس الجريئة والعواطف المنطلقة ، ولم يعد الكتّاب يملكون الأقلام المتحررة ، من أجل ذلك خمدت فى الشعر جذوته ، ومن أجل ذلك التزم الكتّاب جانب الخشية والحذر.

وقد لانلمس ذلك واضحاً مع جامعى الأخبار الأدبية ، ولكنا نكاد نلمسه جليّاً مع المؤرخين حين يتناولون تلك الحقبة التى عاشوها بالحديث عنها ، فنرى ابن قتيبة ، وهو الذى عاش مع تلك الأحداث وأحس ألمها ومضاضتها ، حين يترجم للمتوكل ، ثم للمستعين بالله ثم للمعتز ثم للمهتدى ، يوجز أخبارهم إيجازاً غريباً فتكاد الترجمة لا تزيد على السطر أو السطرين ، ولا يعنينا فيها هذا الإيجاز وإنما يعنينا فيها ذلك الحديث العابر الفاتر الذى يخلو من أية إشارة إلى ما كان ، فهو لا يزيد فى وصف مقتل كل منهم على كلمته المألوفة : « وقتل فى سنة ... »

وهذا الذى خطه ابن قتيبة لنفسه خط مثله ابن حبيب لنفسه ولم يزد هو الآخر شيئاً .

هذا هو المظهر الذى نعنيه ، والذى كان أثراً من آثار ذلك الإرهاب. والطريف أن ابن حبيب ، وابن قتيبة من بعده ، حين وجدا أنهما مضطران لهذا فيما وقع

بين أيديهم وتحت أعينهم عالجوا ما قبل هذا مما لم يقع بين أيديهم وتحت أعينهم على الوتيرة نفسها حتى لايقال إنهم أفاضوا فى ناحية وأوجزوا فى ناحية ، وجعلوا الإيجاز فى سَوْق الأحداث التاريخية كلها طابعهم العام حتى لا يؤخذ عليهم شىء.

وهكذا كان ابن قتيبة فى كتابه « المعارف» معبراً عن بيئته أصدق تعبير ، عبر عنها فى هذا المظهر الجامع حين فشت الكتب المترجمة تحمل مناهج جديدة، وعبّر عنها فى ذلك التحرز حين كانت الخشية واجبة .

وما ندرى هل نلوم ابن قتيبة على وقوفه خائفاً حذراً لايملك الشجاعة فى أن يعبر عما تحت حسه ، ولا أن يطلق لقلمه العنان يصف ما يحدث بين يديه ، أم نلتمس له فيها عذراً ؟ وما ننكر أن ابن قتيبة كان حريصاً على شيئين : حريصاً على حياته ، ثم حريصاً على ألا يترك الناس من بعده يعيبون عليه خوفه وحذره . ولقد حقق لحرصه الأول ما أوحى به فأوجز هذا الإيجاز المخل ، ثم حقق لحرصه الثانى ما يمليه عليه فجعل الإيجاز طابع الكتاب كله حتى لايؤخذ عليه شىء. ولقد ظن بهذا الذى فعل أنه نجا من اللوم ، ولكنه قد فاته أن المؤرخ الذى يسلك مثل هذا المسلك قل أن يفلت من تبعة مافرط فيه ، وإنا إن غفرنا له إيجازه فيما لم يشاهد، بحجة أن غيره سبقه إلى الكتابة فيه وأفاض، وأنه ليس عنده ما يزيد عليه ، فبعيد أن نغفر له إيجازه فيما شاهد ووقع بين يديه ، وكان هو أحد رواته الذين يعتمد عليهم فى ذلك ، مهما تكن الأحوال ، ومهما تكن العواقب ، وما بالعسير على الكاتب أن يحتال شيئاً فى سرد مايحب فيبلغ الأمان الذى يريد ، دون أن يفرط فى الواجب أو يحيد .

ولكنا لاندرى على أية صورة كان ذلك الإرهاب ، ولا على أية صورة كان موقف الناس منه ، غير أنا نكاد ننتهى إلى أنه كان ملجماً للألسنة كما قلنا ، وأن كتاب المعارف كان صورة حقة لذلك فى شقه التاريخى لا فى شقه الأدبى ، فهو إلى جانب مافيه من إفاضة فى المعرفة ، جاء يمثل تلك الظاهرة الأخرى خير تمثيل ، فأوجز الإيجاز كله ، لذا كانت التفاتتى إليه ، ولذا فكرت فى نشره .

٢

ومنذ نحو من أعوام ثمانية قدمت للمكتبة العربية هذا الكتاب « المعارف لابن قتيبة» فى صورة محققة مدروسة ، وكنت مسبوقاً فيها بطبعتين : إحداهما فى جوتنجن (سبتمبر سنة ١٨٥٠م) بعناية المستشرق « ا. ف وستنفيلد » والثانية فى القاهرة (سنة ١٩٣٤م) .

وكانت هاتان الطبعتان ينقصهما الكثير من مقومات التحقيق الحق ، على الرغم مما بذل فيهما من جهد ، إذ كانت ثمة مخطوطات لم يرجع إليها ، كما كانتا تفتقران إلى مقدمة دارسة ، وشروح مبينة ، وتعقيبات موضحة ، ثم فهارس جامعة شاملة .

ولكن من الحق أن أذكر أن طبعة « جوتنجن » كانت أقرب الطبعتين إلى الكمال ، بما التزمته من الرجوع إلى ما اعتمدت عليه من مخطوطات ، و بما أضافته من كلمة قصيرة شارحة ، وفهارس تعرض الرؤوس لا الفروع .

وكان هذا كله الذى أحسست أن الكتاب ينقصه ليخرج فى طبعة تتفق وقدره ، مما حفزنى على الأخذ فى تحقيقه لأستوفى ما لم يكن قد استوفى .

وأظننى قد وفيت ذلك كله فى طبعتى التى قدمتها للمكتبة العربية ، فلم أترك مخطوطاً لم أرجع إليه ، ويسرت ما أمكننى التيسير على القارئ بعرض المقابلات وسرد الشروح والتعقيبات ، وختمت الكتاب بفهارس بلغت أبوابها اثنى عشر باباً ، تنتظمها صفحات تربى على المائة والخمسين ، هذا إلى التقديم الوافى الذى تناولت فيه البيئة التى نشأ فيها ابن قتيبة ومهدت لظهوره ، ثم الحديث عن حياته الخاصة والعامة ، ثم الحديث عن مؤلفاته ، ثم الحديث عن هذا الكتاب — أعنى المعارف — وملابساته وما سبقه من نوعه وما لحقه ، وما أفادته المكتبة العربية منه .

ورأيت أن أفصل هناك بين الحواشى التى للمقابلات ، وبين الحواشى التى للشروح والتعقيبات ، فجعلت لهذه أرقامها المستقلة ولتلك أرقامها المستقلة ، ثم فصلت بينهما فصلا يرفع اللبس ، فجعلت أرقام الأولى بالإفرنجية وأرقام الثانية بالعربية .

وذلك منهج رأيته ألزم للمحقق أن يأخذ به نفسه فيقدم النص خالصاً بمقابلاته ومخالفاته ويجعل الشروح والتعقيبات فى إثر ذلك مستقلة كما فعلت ، ولقد رأيت المستشرقين يكتفون بإثبات المقابلات ولايضيفون إليها شروحاً وتعقيبات . ورأيت المنهج الشائع فى الشرق المزج بين العملين ، أى بين إثبات المقابلات وبين الشروح والتعليقات دون فصل بينهما .

وما من شك فى أن الأمرين مطلوبان ، فنحن بإثبات المقابلات ملزمون ، ثم نحن — أصحاب هذا التراث — نحس بعد هذا حاجة القارئ إلى تيسير وتوجيه وتبيين ، من أجل ذلك جاوزنا الشق الذى التزمه المستشرقون وأضفنا إليه تلك الزيادات الشارحة ، ولكن ذلك يجب أن يكون على تلك الحال التى التزمتها من فصل بين الأمرين ، حتى نجعل النص خالصاً كما قلت والشروح بمعزل عن ذلك .

وكنت فى مقدمتى التى قدمت بها للكتاب فى طبعته الأولى مسبوقاً بمقدمات جاءت حول كتب لابن قتيبة طبعت طبعات محققة — مثل عيون الأخبار ، ومشكل القرآن ، والميسر والقداح — تضمنت تراجم لابن قتيبة . وأشق مايحسه الآخذ فى الترجمة لمؤلف كتاب أن يجد نفسه مسبوقاً إلى ذلك بتراجم لمعاصرين نهضوا بمثل ما ينهض به لهذا المؤلف فى كتب أخرى له ، إذ عليه عند ذلك أن يمعن فى البحث ويستقصى بعد ما استقصوا ، وفرق بين أن تواجه العمل لم يسبقك إليه غيرك فتجد السبل كلها فى يديك وتجد نفسك بين يدى مادة لم تمتد إليها يد فتشكل فيها حيث تشاء ، وبين أن تواجه عملا قد سبقك إليه غيرك فتجد مادته قد استنفدت استقراء ، وتجد أن عليك أن تنقب وتمعن فى التنقيب لعل ثمة شيئاً فات من سبقوك ، كما تجد أن عليك أن تنظر فى أعمالهم نظرة شاملة فاحصة لعل ثمة أمراً لا يستقيم لرأيك .

وهكذا كان لزاماً علىّ ، وأنا أترجم لابن قتيبة ، أن أحمل هذا العبء فى الاستقصاء ، وأظننى قد وفيت الأمر حقه ، وقدمت مقدمة فيها هذا الشمول الذى أردته ، وفيها هذا الاستقصاء الذى وفقت إليه ، وفيها هذا التعقب لمن سبقونى .

ولقد كان من أهم ماعرضت له فى مقدمتى وأفضت فيه ، ذاك الذى أثير قديماً — ولا يزال يثار — حول مابين هذا الكتاب « المعارف » ، وبين كتاب « المحبر » لابن

حبيب ، من صلة ، يغالى بعضهم فيها فيجعل ابن قتيبة عالة على ابن حبيب فى كتابه « المحبر » لايكاد يكون له فى كتابه « المعارف » غير شىء من تحوير ، وشىء من تشكيل ، وشىء من إضافات تاريخية ، تشمل تلك السنين المعدودة التى عاشها ابن قتيبة بعد ابن حبيب ، والتى بلغت ثلث قرن تنقص عنه قليلا ، فلقد كانت وفاة ابن حبيب سنة ٢٤٥ ﻫ ، وكانت وفاة ابن قتيبة سنة ٢٧٦ ﻫ .

أجل لقد ضمنت مقدمتى تفصيلا اتسعت له صفحات ثمان (٦٣ — ٧٠) أثبتّ فيه ما لابن قتيبة فى هذه القضية وما عليه ، وناقشت ماجرى على ألسنة القدماء تلميحاً أو تصريحاً حول هذه الدعوى .

ولقد استقصيت فى ذلك ما وسعنى الاستقصاء ، وكما عرضت للآراء بالحجة العقلية عرضت لها بالحجة النقلية ، فوازنت بين نصوص من الكتابين — أعنى المعارف والمحبر — جاءت حول غرض واحد ، كما وازنت بين أسلوب هذا وأسلوب ذاك ، ونهج هذا ونهج ذاك ، لأنتهى إلى ذلك الرأى القاطع الذى انتهيت إليه .

٣

ولكن الشىء الذى لم أكن أملك حجته عن مشاهدة واستقراء ، حين أخرجت طبعتى الأولى من كتاب « المعارف » ، هو الموازنة بين كتاب « المعارف » وكتاب آخر لابن حبيب هو « المنمق » ، لذا سقت هناك عنه كلمة عابرة .

ولقد كان هذا الحكم الذى سقته حينذاك أن هذا الكتاب — أعنى المنمق — يضم أبواب المحبر أو أكثرها — مقدمة الطبعة الأولى : ٦٩ — معتمداً فى حكمى هذا على كلمة الختام التى عقب بها الأستاذ الفاضل « محمد حميد الله » على كتاب « المحبر » .

ولم يكن كتاب « المنمق » بين يدى ، كما لم يكن ثمة نص آخر يكشف شيئاً عن أبواب كتاب « المنمق » ومحتوياته ومنهجه ، نعم ، لم يكن بين يدى عن كتاب المنمق — غير ماذكره الأستاذ « محمد حميد الله » ، هذا إذا استثنينا قلة من مراجع لم تذكر عن الكتاب غير اسمه مع تخليط فى موضوعه ، فقد ذكر

ياقوت فى كتابه « إرشاد الأريب » ، وهو يترجم لابن حبيب نقلا عن ابن النديم ، أن له كتاب الأمثال على « أفعل » ، ويسمى : المنمق .

وهكذا نرى ياقوت قد جعل كتاب « المنمق » فى الأمثال التى على « أفعل » ، ثم نراه بعد هذا يعزو هذا الذى ذكره إلى ابن النديم . والغريب أن ابن النديم لم يذكر هذا أو قريبا منه ، فهو يقول فى كتابه « الفهرست » ، وهو يذكر كتب ابن حبيب التى بلغت على عدّه خمسة وثلاثين كتابا ، وله — يعنى ابن حبيب — من الكتب كتاب الأمثال على « أفعل » . ولم تجئ فى الكتاب — أعنى الفهرست — تلك الزيادة التى زادها ابن حبيب عنه من تسمية ذاك الكتاب باسم « المنمق » ، وما ندرى أذلك من السقط الذى منى به كتاب الفهرست ، أم هى سقطة من سقطات ياقوت .

ثم نقع فى كتاب « التكملة » للصغانى ، وفى ذلك التذييل الذى ذيل به كتابه والذى يذكر فيه الصغانى الكتب التى رجع إليها وأفاد منها ، والتى قاربت الألف فيما يقول ، فنجده قد ذكر من بينها لابن حبيب تسعة كتب منها « المنمق » .

واصطفاء الصغانى لكتاب « المنمق » وجعله من مراجعه فى معجمه اللغوى يلفتنا إلى أن الكتاب — أعنى المنمق — فيه شىء من مادة معينة كالشعر الاستشهادى أو أسماء القبائل والأعلام ، وهذا وذاك لاشك مما كانت لابن حبيب فيه جولات ، غير أن هذا الحكم لم يكن سوى ظن ، ولم يكن الظن ليلقى ضوءاً يجلو ما فى كتاب « المنمق » وإن كان يحدد موضوع الكتاب تحديدا يقرّبنا من موضوعه شيئاً .

وهكذا لم يكن لى كما يرى القارئ غير ماساقه الأستاذ « محمد حميد الله » عن كتاب « المنمق » ، لاسيما وهو يحدث عن معاينة ، وغير تلك الاستنباطات التى استقيتها من تلك المراجع القليلة .

فهو يقول فى كلمة الختام (المحبر ٥٠٤) : « وكتاب المنمق هذا كتاب فى نفس موضوع كتاب المحبر » .

ثم يقول فى (ص ٥١١) وهو يتكلم عن كتاب المحبر : « وأنا أظن أنه ألفه بعد كتابه المنمق ، وموضوعهما واحد وفصول عديدة منهما مشتركة اللفظ والمعنى » .

يقول هذا وذاك الأستاذ «محمد حميد الله» بعد أن وقعت له نسخة من «المنمق» نقلت عن النسخة الأم التي كانت ملك السيد «ناصر حسين» ببلدة«لكهنو»في الهند ، فهو يقول : «ومن مفاخر بلادي وحسن حظي أني حصلت على نسخة هذا الكتاب في أثناء طباعة المحبر فأضفت إليه بعض الفوائد المأخوذة من« المنمق» وسيراها القارئ في الحواشي والتعليقات» .

إلى هنا لايملك القارئ لكلمات الأستاذ «حميد الله» إلاأن يطمئن شيئاً إلى أنه ثمة تشابه بين الكتابين المحبر والمنمق ، وإلى أن هذا التشابه من القوة بمكان .

وحين انتهيت من تقصي المقابلات التي عرضها الأستاذ «حميد الله» تساءلت: أين ذلك الاتفاق الكبير بين الكتابين؟ وهل هذه المقابلات هي كل ما بين الكتابين من مخالفات ؟ وأن ما بعد ذلك مما لم تثبت فيه مقابلات ماض على وتيرة واحدة لاخلاف فيه بين الكتابين .

كان هذا ما ظننته ، وكان هذا ماأوحت به كلمة الأستاذ «حميد الله» عن الكتابين .

وعلى هذا جاءت كلمتي في مقدمتي للطبعة الأولى من كتاب «المعارف» فلقد كنت فيها أسيرَ هذه المعلومات التي أفدتها من كلمة الختام تلك . ولكني بقيت أرقب الحصول على نسخة من كتاب« المنمق» ، وكنت أعرف أن الكتاب مخطوط وأنه ليس ثمة منه غير مخطوطة فريدة .

وتمضي الأيام فإذا كتاب «المنمق» يصادف من يلتفت إليه ليحققه وينشره على الناس مطبوعاً ، وإذا هو يخرج إلى الناس في صورة طيبة بعناية أستاذ كريم هو الأستاذ« خورشيد أحمد فارق» أستاذ اللغة العربية بجامعة دلهي .

وعلى الرغم من أنه طبع سنة ١٩٦٤ م ، غير أنه لم يقع لي إلا منذ حين قليل وأنا أعد لهذه الطبعة الثانية من كتاب «المعارف» ، وكان لابد لي من نظرة فيه فاحصة، فإذا الكتاب يحمل عنوانه كاملا« كتاب المنمق في أخبار قريش »، وإذا أبوابه كلها حول هذا العنوان لاتبعد منها في قليل ولا كثير ، وإذا الكتاب نهج آخر غير نهج «المعارف» وغير نهج «المحبر» .

وكان لابد بعد أن وقع لى كتاب «المنمق» وأصبحت أملك الموازنة عن معاينة كما ملكها الأستاذ «حميد الله» من قبل عن معاينة، أن أعارض نصًّا بنص، أعنى نص المحبر بنص المنمق، فإذا هذه الموازنة تكشف لى فى أماكنها السبعة عن اتفاق ليس على الصورة التى صورها الأستاذ «حميدالله»، وإليك هذه النصوص السبعة كما هى فى «المحبر» وكما هى فى «المنمق»:

أولها: (المحبر ص ١٣٧) عند الكلام على «أزواد الركب»، فالنص فى «المحبر»:

أزواد الركب، الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى، ومسافر بن أبى عمرو بن أمية، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد».

والنص فى «المنمق» (ص ٤٦٠–٤٦١ المطبوعة): أزواد الركب من قريش. وكانوا إذا سافروا لم يختبز معهم أحد ولم يطبخ، وهم:

الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى، ومسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس، وأبو أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد».

وثانيها: عند سوق أبيات للحزين الكنانى (المحبر ص ١٥٢) وهى:

فإن تك ياطلح أعطيتنى ... عذافرة تستخف الضفارا[1]
فما كان نفعك لى مرة ... ولا مرتين ولكن مرارا
أبوك الذى صدّق المصطفى ... وسار مع المصطفى حيث سارا
وأمك بيضاء تيميّة ... إذا عدّد الناس كانت نضارا

فى البيت الأخير منها «كانت نضارا»

وأضاف الأستاذ «حميدالله»: «وفى المنمق لابن حبيب (ص ٣٠٧) «كانوا نصارا»، وهو يعنى ما جاء فى النسخة المخطوطة.

وحين رجعنا إلى النسخة المطبوعة من المنمق (ص ٤٧٩) وجدنا أنه ليس

(١) العذافرة: الناقة الشديدة الأمينة الوثيقة الظهر. والضفار: الشعر المضفور يشد به البعير.

ثمة خلاف، وأن الروايتين لاتختلفان، وأن السيد محقق الكتاب «خورشيد أحمد فارق» لم يشر إلى شىء مما أشار إليه السيد «حميد الله». ولعله وقع عليه ولكنه لم يجد مايستحق الإثبات، إذ ليس هذا موضع خلاف، إلا إذا سبق إلى الظن أن الكلمة تدل على من كانوا غير مسلمين، وفى هذه كان لابد أن ترسم «نصارى» بالياء.

وثالثها: عند الكلام على المستهزئين من قريش فالنص فى المحبر (ص ١٥٨):

«المستهزئون من قريش وماتوا ميتات مختلفات كفارًا، منهم: العاصى بن وائل السهمى، والحارث بن قيس بن عدى الكلبى، وهو صاحب الأوثان، وكان إذا مر بحجر أحسن من الذى عنده أخذه وألقى الذى عنده، وفيه نزلت (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)[1]. والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى. والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والأسود بن عبد يغوث ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة».

إلى هنا ينتهى نص «المحبر»، وهو كذلك فى «المنمق» ليس فيه غير خلاف واحد فى اسم، الحارث بن قيس بن عدى، فقد جعله «المحبر» من «كلب» فقال «الكلبى» وجعله «المنمق» من «سهم»، فقال «السهمى». وأما ما بعد هذا فقد ساق «المنمق» زيادة طويلة، وهى تقع فى النسخة المطبوعة (٤٨٤ — ٤٨٧):

«فأما سبب موتهم فإن العاصى بن وائل خرج فى يوم مطير على راحلته ومعه ابنان له يتنزه ويتغذى، فنزل شعبًا من تلك الشعاب، فلما وضع قدمه على الأرض صاح، فطافوا فلم يروا شيئًا، فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، فمات من لدغة الأرض.

وأما الحارث بن قيس فإنه أكل حوتًا مالحًا فأخذه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقد[2]، فمات وهو يقول: قتلنى رب محمد.

---

(١) الفرقان: ٤٣

(٢) انقد: أصابه وجع فى بطنه.

وأما الأسود بن المطلب فكان له ابن بارٌّ به يقال له زمعة ، وكان متجره إلى الشام، فكان إذا خرج من عند أبيه فى سفر قال : أسيرُ كذا وكذا ، أو آتى البلد يوم كذا وكذا . ثم أخرج يوم كذا وكذا ، فلايخرم مما يقول شيئاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه أن يعمى الله بصره ويثكله ولده ، فخرج فى ذلك اليوم الذى وعده فيه ابنه زمعة القدوم ، ومعه غلام له ، فأتاه جبريل عليه السلام ، وهو قاعد فى ظل شجرة ، فجعل يضرب رأسه وجبهته بورقة خضراء فذهب بصره ، ويضرب وجهه بالشوك ، فاستغاث غلامه ، فقال : ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً إلا نفسك ، فأعمى الله بصره وأثكله ولده .

وأما الوليد فمر عليه رجل من خزاعة وعنده نبل قد راشها[1] ، فتعلق به سهم. وقد تقدم ذكر قصة الوليد وموته فى الكتاب[2] .

وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج من عند أهله فأصابته السموم فاسود ، فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه ، فمات وهو يقول : قتلنى رب محمد .

وحكى إبراهيم بن سعد أن جبريل عليه السلام : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت ، فمر الأسود بن المطلب فرمى وجهه بورقة خضراء فعمى ، ومر به الأسود بن عبد يغوث الزهرى فأشار إلى بطنه فاستسقى ومات حبناً[3] ، ومر الوليد فأشار إلى أثر جرح فى أسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر إبله ، فمر برجل من خزاعة فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدشه خدشاً وليس بشىء ، فلما أشار إليه جبريل عليه السلام أنتفض ذلك الخَدْشُ فقتله .

ومر به العاصى بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له ، وهو يريد الطائف ، فربض به حماره على شِبرقة[4] ، فدخلت فى أخمصه منها شوكة فقتلته .

---

(١) راشها : وضع فيها الريش .

(٢) ساق المنمق حديث موت الوليد (ص ٢٣٤ — ٢٣٤) .

(٣) الحبن : الاستسقاء .

(٤) الشبرقة ، بالكسر : واحدة : والجمع : الشبرق ، وهو شجر شائك .

ورابعها : حول كلمة فى بيتين للحارث بن حنش السلمى يقولهما لهاشم ، وكان أخاه لأمه ، ساقهما المحبر (ص ١٦٢) فقال :

إن أخى هاشماً ليس أخا واحد   والله ما هاشم بناقص كاسد
والخير فى ثوبه فى حفرة اللاحد   الآخذ الألف والوافد للقاعد

وكذا البيتان فى المنمق (ص ٣٤) غير خلاف واحد فى كلمة « الألف » فهى فى المنمق « الإيلاف » وقد صوبها محقق « المنمق » عن « المحبر » .

وخامسها : فى أبيات ثلاثة لمطرود بن كعب الخزاعى ساقها المحبر (ص ١٦٣) وهى :

مات النّدى بالشام يوم ثوى كما   أودى بغزة هاشم لايبعد
لايبعدن [1] ربّ الفناء نعوده   عود السقيم يجود بين العود
فجفانه رذم [2] لمن ينتابه   والنصر منه باللسان وباليد

وساقها المنمق (ص ٣٤) كما هى لم يخالف إلا فى صدر البيت الأول ، فقد رواه :

* مات النّدى بالشام لما أن ثوى *

ولم يشر إلى هذا السيد « حميد الله » .

وسادسها : حول شعر لمطرود أيضا. فقد ساق المحبر له (ص١٦٣–١٦٤) أبياتاً أربعة ، وهى [3] :

إن المغيرات وأبناءهم   لخير آباء وأمّات
للبيض فيض كلهم سيد   أبناء سادات لسادات
قبر بردمان وقبر بسلما   ن وقبر عند غزّات
وميت مات قريباً لدى الـ   حجون من شرق الثنيّات

وقد رواها «المنمق» أيضاً (ص٣٦–٣٧) مع اختلاف فى بعض الألفاظ وزيادة أبيات ثلاثة بعد البيت الرابع ، وهذه هى كما وردت فى «المنمق» :

---

(١) لا يبعدن : لا يموتن .

(٢) الرذم ، بضمتين : جمع رذوم ، بفتح فضم هى القصعة الممتلئة : تتصبب جوانبها .

(٣) انظر شرح الأبيات مع رواية المنمق التالية بعد .

إن المغيرات وأبناءهم لخير أحياء وأموات
أربعة كلهم سيد أبناء سادات لسادات
أخلصهم عبد مناف فهم من لوم من لام بمنجاة
قبر بسلمان وقبر برد مان وقبر عند غزات [1]
وميت مات قريباً لدى الـ حجون من شرق البنيات [2]
يا ليلة هيجت ليلاتي إحدى ليالي القسيات [3]
هيجت لي أحزان ما قد مضى لما تذكرت المنيــات
لما تذكرت منافا بني عبد مناف بت [4] حاجاتي

وسابعها: عند الكلام على أبناء الحبشيات. فقد ساقهم المحبر (ص ٣٠٦ــ٣٠٩) وساقهم المنمق (٥٠٣ــ٥٠٥) وبينهما خلاف كبير، وها هما النصان:

نص المحبر:

أبناء الحبشيات: نضلة بن هاشم بن عبد مناف، نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب. عمرو بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب بن جذيمة، من بني عامر بن لؤى. وأمهم صهال حبشية كانت لهاشم بن عبد مناف. الخطاب بن نفيل، وأمه حية، كانت لجابر بن أبي حبيب الفهمي. وذكروا أن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري عير عمر بن الخطاب فقال له: يابن السوداء، فأنزل الله تبارك وتعالى: (ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) [5].

(١) سلمان: ماء قديم، عنده قبر نوفل بن عبد مناف. وردمان: موضع باليمن، وبه قبر المطلب بن عبد مناف .. وغزات، يريد: غزة، وجمع للشعر، وغزة: مدينة كانت تعد قديماً في أقصى الشام، وفيها قبر هاشم بن عبد مناف.

(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة، وبالقرب منه قبر عبد شمس بن عبد مناف. والبنيات: يريد: البنية، بفتح فكسر ثم ياء مشددة، وهي مكة وجمع للشعر.

(٣) القسيات: جمع قسية، وهي الشديدة من حر أو برد أو قحط ونحوه.

(٤) كذا أثبتها السيد المحقق وقال: «في الأصل: وابنا، ولا يستقيم الوزن».

(٥) الحجرات: ١١.

عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، معمر بن عثمان التيمي . الحارث ابن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، وأمه سيحاء حبشية نصرانية ، عثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي . صفوان بن أمية بن خلف الجمحي ، هشام بن عقبة بن أبي معيط مالك بن عبيد الله بن عثمان الأموي . عمير بن جدعان التيمي. أبو مليكة بن عبد الله بن جدعان التيمي. عبد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جدعان . عبيد الله بن عبد الله ابن أبي مليكة . المهاجر بن قنفذ بن عمرو بن جدعان . عبيد الله بن عبد الله بن معمر بن عثمان التيمي . مسافع بن عياض بن صخر بن كعب التيمي . قرظة بن عبد عمرو بن نوفل. أبو فاختة بنت قرظة ، زوج معاوية ابن أبي سفيان . السباق بن عبد الدار بن قصي . عبد الله بن قيس بن عبد الله بن الزبير بن العوام . سمرة بن حبيب بن عبد شمس . عبد الله ابن مسافع بن طلحة ، من بني عبد الدار ، عبد الله بن زمعة ، أخو بني عامر بن لؤي . أسامة بن زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . عمرو بن هصيص بن لؤي ، وأمه قسامة . عبد الأعلى بن عبد الله ابن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، يزيد بن كيسان الضمري ، أمه حبشية . كردوس بن السفاح التغلبي ، عنترة بن شداد بن معاوية العبسي ، أمه زبيبة . السليك بن يثربي السعدي ، أمه السلكة . خفاف بن عمير ، وأمه ندبة ، بها يعرف . عبد الله بن خازم السلمي ، وأمه عجلى . عمير بن الحباب السلمي ، أمه الصمعاء . همام بن مطرف التغلبي . يعلى بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وله يقول الشاعر :

كأن على مفارق رأس يعلى ... خنافس موتت زمن البطاح

على اسم الله ثم لِـدِي غلاماً ... فسميه بأفلح أو رباح

شعبة بن هاني بن قبيصة الشيباني ، سعيد بن عمرو الحرشي ، أسيد بن علاج الثقفي ، عبد الله بن سبأ ، صاحب السبئية ، المتلمس ، الضبعي الشاعر أمه يقال لها سحمة ، زياد بن عوف بن حارثة بن قتيرة ، من السكون ، كان فارساً وأمه هندابة . محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي

ابن الحسين بن علي . علي بن محمد بن علي بن موسى . موسى بن محمد ابن علي بن موسى . جعفربن إسماعيل بن موسى بن جعفربن محمد بن علي عبد الله بن حمزة بن موسى بن جعفربن إسحاق بن موسى بن جعفر. درج. إبراهيم بن حسن بن حسن . محمد وجعفر ، أبناء إبراهيم بن حسن . سليمان بن حسن ، عقيلي ، محمد بن داود بن محمد بن سليمان ، حسني . أحمد بن العباس بن الحسن بن عبيد الله من بني العباس بن علي بن أبي طالب . أحمد بن أبي عبد الملك بن أبي مروان بن أبي عفان ، من ولد عثمان ابن عفان . العباس بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام . العباس ابن المعتصم . محمد بن عبد الله بن إسحاق المهدي ، الملقب بنفاطة . ابن لهبة الله بن إبراهيم بن المهدي . أمه رمار. أحمد بن محمد بن صالح المخزومي . الأخنس ، وهو. . . الأرقم وهو. . . (١) !

ونص المنمق :

أبناء الحبشيات من قريش

نضلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، أمه صهال ، ونفيل بن عبد العزى العدوي ، أمه صهال أيضاً ، وعمرو بن ربيعة بن حبيب ، من بني عامر بن لؤي أمه أيضاً صهال هذه ، والخطاب بن نفيل العدوي ، أمه حية . والحارث ابن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، أمه سبحاء ، وعثمان بن الحويرث بن أسد ابن عبد العزى ، وصفوان بن أمية بن خلف الجمحي . وهشام بن عقبة ابن أبي معيط ، ومالك بن عبيد الله بن عثمان الأموي ، وعمير بن جدعان التيمي والعباس بن علي بن أبي طالب ، عليهما السلام . وأحمد بن أبي عبد الملك ابن أبي مروان بن أبي عفان ، من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأحمد بن محمد بن صالح المخزومي ، والأرقمي ولم يعرف اسمه ، والعباس بن المعتصم ، وهبة الله بن إبراهيم بن المهدي ، ومحمد بن عبد الله بن إسحاق

(١) كذا في الأصل .

ابن المهدى، الملقب بنفاطة . والعباس بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

هذه هى المواضع السبعة التى وجدنا فيها مقابلات بين «المنمق» و «المحبر» ؛ هذا إذا استثنينا موضعين آخرين مكانهما من « المحبر » (ص١٦٦ ، ١٩٦) ومكانهما من «المنمق» (ص ٤٢ ، ١٩٣) أولهما: عن استكمال كلمة جاءت مطموسة فى «المحبر » ، وثانيهما : عن إشارة إلى كلمة جاءت محرفة فى «المنمق» ؛ وهى «أوارة» فقد قرأها الأستاذ «حميد الله» : « أراره » براءين ، وإلى ذلك أشار ولم يشر إلى ذلك محقق« المنمق» .

٤

ورأى بعد هذا أنه من الخير أن أثبت هنا ثبت موضوعات «المحبر» ، وثبت موضوعات «المنمق » ، حتى أضع بين يدى القارئ موضوعات هذا وموضوعات ذاك ،لاسيما أن الكتابين عزيزا المنال ، وأنه ليس ثمة منهما نسخ موفورة ، ولكى نتبين معاً مابين الكتابين من اتفاق أو اختلاف فى وضوح وجلاء ..

وهذا هو ثبت « المحبر » :

ثبت المحبر

المدد التى بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام — أعمار الأنبياء — ذكر تاريخ العرب — مولد النبى صلى الله عليه وسلم — تسمية من أقام الحج — أسماء الخلفاء الراشدين — الخلفاء الأمويون — الخلفاء العباسيون — أبناء القرشيات من الخلفاء — أبناء العربيات من الخلفاء — أبناء أمهات الأولاد من الخلفاء — المشبهون بالنبى صلى الله عليه وسلم — العواتك اللواتى ولدن رسول الله — الفواطم ، اللاتى ولدنه — بنات رسول الله وأصهاره وأصهار الخلفاء وغيرهم — أصهار أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن رضى الله عنهم — أصهار الخلفاء من بنى أمية وعبد الله بن الزبير — أصهار الخلفاء العباسيين — أصهار عبد المطلب وأعيان ولده

ـ أولّ من ولده هاشميان وأول من ولدته ثلاث هاشميات — رجلان كان عماهما وخالاهما خليفتين — من أقام المواسم من العرب — أسواق العرب المشهورة فى الجاهلية — أسماء نقباء رسول الله — رجل تزوج أربع نسوة تسمى كل واحدة منهن عاتكة — أول من سمى من أبناء المهاجرين محمداً — من سمى من بنى الأنصار محمداً — أول مولود بعد الهجرة من قريش ومن الأنصار — أسماء السعود البدريين من المهاجرين والأنصار — من شهد بدراً ممن اسمه عبد الله من المهاجرين والأنصار — تسمية البكائين — تسمية الذين قتلوا كعب بن الأشرف — الذين قتلوا ابن أبى الحقيق — الذى قتل العصماء بنت مروان — الذين تولوا يوم التقى الجمعان من قريش ومن الأنصار — الذين تخلفوا عن تبوك — عين رسول الله على أهل بدر وغيرهم — تسمية الجماع للقرآن على عهد رسول الله — تسمية بشراء النبى — تسمية من شهد بدراً من الموالى من المهاجرين والأنصار — رجل تزوج رسول الله عمته وخالته — من كان يرى المتعة من أصحاب النبى — تسمية من شهد مع على الجمل وصفين من أصحاب رسول الله — من شهد صفين مع معاوية منهم — أشراف العميان — البرص من الأشراف — العوران من الأشراف — الحولان من الأشراف والفقم والعرجان والكواسجة الشط منهم — أبناء النصرانيات — أبناء الحبشيات — سنن الجاهلية فبقى الإسلام بعضها — تلبيات الحج فى الجاهلية لقبائل شتى — أصنام العرب — أوابد العرب — الميسر — القسامة — تسمية أشراف مكاتبى البصرة والكوفة — الوافون من العرب — الطلحات المعدودون فى الجود — أسماء أصحاب الكهف — أسماء من جاء الإسلام وعند الرجل منهم عشر نسوة — أسماء التسعة الرهط المفسدين من قوم صالح — من صلى بالناس فى حصار عثمان — أسماء ملوك الحيرة اللخميين وغيرهم — تسمية من جمع ملك فارس — تسمية ملوك حمير — ملوك كندة — سبب ملك غسان — أصحاب شرط الخلفاء — أسماء أشراف الكتاب — الحمقى المنجبون — حمقى النساء — سبب تبلبل الألسن — أسماء ولد إسماعيل وإسحاق ويعقوب — السحرة — أسماء ولد مدين بن إبراهيم — نسب مريم بنت عمران — نسب دانيال — أسماء الذين نزل فيهم (وإذا لقوا الذين آمنوا) (الآية) — أسماء أشياء ذكرها الله فى كتابه — أسماء من

ملك الأرض كلها من الجن والإنس — بنو إبراهيم — قبائل العاربة — أسماء ولد إبليس لعنه الله — الوافيات لأزواجهن اللواتى لم يتزوجن بعدهم — النسوة اللواتى كان أمرهن إليهن فى القيام والطلاق لشرفهن — إمرأة شهد أبوها وجدها وزوجها بدراً — امرأة شهد لها مع رسول الله سبعة بنين — امرأة شهد أخواها وغيرهما بدراً — امرأة شهد أبوها وعمها بدراً — امرأة استشهد أخوها وخالها وزوجها يوم أحد — امرأة شهد لها أربعة أزواج وأخوها بدراً — امرأة شهد لها زوجان وابنها وابن أخيها بدراً — امرأة أولدها رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير — امرأة قتل أخوها وابنها وزوجها بأحد — امرأة تعد اثنى عشر خليفة كلهم لها محرم — امرأة تعد تسعة من الخلفاء كلهم لها محرم — امرأة تعد عشرة من الخلفاء كلهم لها محرم — أسماء النسوة المبايعات رسول الله — النسوة اللاتى لحقن بالمشركين فأعطى رسول الله أزواجهن مهورهن — الوافيات من النساء — أسماء من تزوج ثلاثة أزواج فصاعداً من النساء — المنجبات من النساء — ولد ربيعة أربع نسوة وقد ربع أخوهن وأبوهن وزوجهن وابنهن — أسماء نقباء بنى إسرائيل — أسماء الحواريين — أسماء نقباء بنى العباس — النماردة — الفراعنة — أسماء المفسدين فى الأرض — أسماء المنافقين — من شرب الخمر صرفاً — أسماء المؤلفة قلوبهم — أسماء حوارى رسول الله — أشراف المعلمين وفقهاؤهم — أسماء المصلبين من الأشراف — من نصب رأسه من الأشراف — الفرارون .

• • •

ثبت المنمق

٥

وبعد ، فهذان هما ثبتا «المحبر» و« المنمق » ، يسردان لنا الموضوعات سرداً : وها نحن أولاء نرى أن الاتفاق بينهما فى هذا القدر القليل الذى أشرت إليه والذى لا يعدو صفحات ، وأن ما بعد هذا فالأبواب مختلفة وأنه ليس ثمة اتفاق بينهما .

ونحن بعد هذا نملك ثبت المعارف ، وهو قريب هنا بين يدينا ، وإن نظرة شاملة فى هذه الأثبات الثلاثة تقفنا على مناهج هذه الكتب: «المحبر» و «المنمق» والمعارف ، وتكشف لنا عما فيها ، وتعطينا البرهان القاطع والحجة البينة .

فالمحبر والمعارف كما ترى موسوعتان تاريخيتان تمضيان كما تمضى الموسوعات التاريخية فى تسلسل واتساق معين ، من أجل هذا جاء هذا الشك فى صلة الكتابين — أعنى المحبر والمعارف — وأن ثانيهما أخذ من أولهما ، ولكن كتاب المنمق يتناول جزئية من جزئيات الكتابين ، وهو يتناولها فى تفصيل كثير ، لأنه فرغ لها . من أجل هذا جاء هذا الاتفاق بينه وبين المحبر وبينه وبين المعارف فى هذه الجزئية وحدها ، لم يشاركهما فى غيرها ، فما عرض حول هذه الجزئية فى «المحبر» لا شك جاء مفصلا فى «المنمق» ، إذ أن الموضوع الذى أفرد له « ابن حبيب » كتابه « المنمق » كان غرضاً مقصوداً بعينه ، فاحتاج إلى هذا التفصيل ، ولم يكن كذلك فى كتاب « المحبر» لهذا أوجز ، ومن أجل هذا الاتفاق الذى لم يكن يعرف مداه أثير هذا الشك عن صلة كتاب المعارف بكتاب المنمق ، بعد أن أثير مثله عن كتاب المحبر ، غير أن هذه الصلة الثانية كنا نملك أدله الموازنة فيها وأسباب الحكم ، وكانت الصلة الأولى ظنًّا عامًّا قبل أن يعثر على نسخة من المنمق ، ثم كانت ظنًّا خاصًّا حين عثر على نسخة من هذا الكتاب وحين قدمها لنا الأستاذ « حميد الله » فى كلمة الختام التى ختم بها عمله فى كتاب المحبر ، ثم كانت كلمة فاصلة حين ملكنا كتاب المنمق واستوعبنا ما فيه .

ولقد بدا واضحاً أن الاتفاق بين الكتابين ليس كبيراً ، كما أوحت بذلك كلمة

الختام لحميد الله ، وأنه ليس غير شيء قليل لا يعدو صفحات محدودة قد لا تجاوز الخمسين ، وأن هذه المقابلات التي أثبتها الأستاذ « حميد الله » لم تكن بعضاً وإنما كانت كلا .

بعد هذا أكاد أكون قد أنهيت كلمتي عما يثار عن « المعارف » وصلته بالكتابين اللذين لابن حبيب، وهما: المحبر والمنمق ، وقد قلت كلمتي في تفصيل في مقدمة الطبعة الأولى للمعارف عن الأول وهو «المحبر» وكان لا بد من أن أسوق كلمة مفصلة عن «المنمق» بعد أن وجدت الأسباب بين يدى، وعذرى قبل عند طبعي كتاب «المعارف» طبعته الأولى أني لم تقع لى نسخة من كتاب المنمق، وأن اعتمادى كان على كلمة الأستاذ «حميد الله» . وحين وقعت لى نسخة من كتاب «المنمق» كان لا بد من دراسة وافية له كالتي سبقت من كتاب « المحبر » لأنتهى منها إلى مثل الحكم الذى انتهيت إليه مع كتاب « المحبر » .

والآن لعلى أكون قد قضيت في تلك القضية بما لا يدع مجالا بعد لشك يثار ورددت الأمر إلى حيث يجب أن يرد إليه ، وأن كتاب « المعارف » هو لابن قتيبة خالصاً لم يأخذ فيه عن «المحبر» كما لم يأخذ فيه عن «المنمق» ، ولن يضير ابن قتيبة أن يكون قد شارك من سبقوه أو عاصروه في موضوعات بعينها فما أكثر ما نجد من مشاركة بين المؤلفين السابقين لا سيما حين يتناولون أغراضاً مشتركة كتلك التي كانوا كثيراً ما يتناولونها وكثيراً ما يتحدثون فيها حديثاً يكاد يكون واحداً ، لأنهم كانوا جميعاً شبه نقلة عن معين واحد ، ليس لهم إلا تلوين يختلف اختلافاً يسيراً ، وما عاب هذا جهودهم المشكورة ، ولا نقصهم حقهم فيها .

٦

وبعد :

فلقد كان المطبوع من هذا الكتاب في طبعته الأولى ألفاً ، وكان هذا لظروف ترجع إلى القصد، فكان شيوعه محدوداً ، وبقيت تلك الطبعة مقصورة على أعداد لا تعدوها، لذا كنت حريصاً على أن أعيد طبعه، وأن أضم إلى طبعته

الأولى طبعة ثانية ، وإذ لم يكن ثمة ما أضيفه على طبعتى الأولى من مزيد فقد جاءت هذه الطبعة الثانية صورة من الطبعة الأولى، لا تزيد عليها إلا هذه الكلمة التى جعلتها مقدمة للطبعة الثانية ، والتى قصدت أن أشير فيها خاصة إلى «المنمق» لابن حبيب ، وما يساورنى فيه ، ثم بتصويب ما جاء فى الطبعة الأولى من أخطاء .

لهذا سوف يجد القارئ هذه الطبعة الثانية صورة من الطبعة الأولى ، تزيد عليها غير هذه تلك التصويبات لتطالعه خالية مما وقع فى الطبعة الأولى من أخطاء مطبعية .

وهأنذا أرجو بهذه الطبعة الثانية من كتاب المعارف أن أكون قد يسرت اقتناءه لمن فاتهم اقتناؤه فى طبعته الأولى ، لكى نجتمع جميعاً على الإفادة من كتاب هو من أجل ما عمرت به المكتبة العربية .

وإنى لسعيد هنا بهذا الجهد المتواضع سعادتى هناك بذلك الجهد الشاق، إذ كلاهما مبعثه الحرص على إحياء تراثنا والانتفاع به

دكتور

ثروت عكاشه

ذو القعدة سنة ١٣٨٨

فبراير سنة ١٩٦٩

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة التحقيـــق

وتنتظم دراسات عن :

عصر المؤلف ـــ حياة المؤلف ـــ كتاب المعارف

(١) عصر المؤلف :

بغداد :

لم تكن « بغداد » ـــ قبل أن أخذ أبو جعفر المنصور فى تأسيسها ـــ مدينة ملحوظة . بل كل مانعرفه عنها أنها كانت أيام الأكاسرة والأعاجم قرية من قرى « بادُوريا »[١] . وعلى حين كانت «المدائن» ـــ وهى قصبة الملك إذ ذاك ـــ تزهى بإيوان كسرى ، وتفيض أُبهة وجلالا ، لم تنضم « بغـداد » إلا على دَيْر كان على مَصب « الصَّراة »[٢] عرف باسم : الدَّير العَتيق .

ولم يكن حظ « بغداد » فى الأيام الأولى للعرب خيرا منهـا أيام الأعاجم . فلقد اتجه العرب إلى غير « بغداد » من مدن « العراق » يختطونها ويعمرونهـا ، فاختط سعد بن أبى وقاص « الكوفة » سـنة سبع عشرة من الهجرة ، وكان عندها عامل « عمر بن الخطاب »[٣] .

واختط عُتبة بن غَزوان المـازنى « البصرة » فى السنة نفسها . وكان هو الآخر عاملًا لعمر بن الخطاب[٣] .

(١) بادوريا : بالجانب الغربى من بغداد . (معجم البلدان) .
(٢) الصراة : نهر يأخذ من نهر عيسى عند بلدة المحول و يصب فى دجلة . (معجم البلدان) .
(٣) البلدان لليعقوبى (بغداد) .

وجاءت الدولة الأموية وعلى رأسها «معاوية بن أبي سفيان» . وكان «معاوية» قبل أن يُكتب له هذا النصر عاملًا لعمر بن الخطاب على الشام، ثم لعثمان بن عفان عشرين عاما، وكان ينزل هو وأهله دمشق .

فما إن غلب على الأمر وأصبح السلطان إليه حتى جعل « دمشق » مقرّ سلطانه، يلتفّ حوله آلهُ وأنصاره وأشياعه .

ونهضت « دمشق » وأصبحت محطّ رحال العلماء، ومُعترك الرأى، ومقصد ذوى الجاه، وأخذ شأنها يعلو والحضارة فيها تزدهر .

وعاشت على ذلك حِقبة، اتصلت أعوامها باتصال أعوام الدولة الأموية .

ولما أفضت الخلافة إلى بنى العباس مالوا عن الشام إلى العراق، يَميل بهم عن الأولى أنها مَعقل الأمويين ومُجتمع أنصارهم، ويَميل بهم إلى الثانية أنها مَهد دعوتهم ومكان شيعتهم .

وما يكاد « أبو العباس السفّاح عبد الله بن محمد بن على» يَلِي خلافة الهاشميين سنة ١٣٢هـ حتى يقصِد قَصْد «العراق» وينزل «الكوفة» ثم يتحول عن «الكوفة» إلى « الأنبار » ويأخذ فى بناء مدينة على شاطئ الفرات يسميها : الهاشمية[١] .

ويموت أبو العباس السفاح، ويجىء فى إثره أبو جعفر المنصور، يَلِي من أمر الهاشميين ما وليه أبو العبّاس من قبله، فيختار موضعا بين «الكوفة» « والحِيرة » يَبنى فيه مدينة، يُسميها هو الآخر: الهاشمية .

---

(١) معجم البلدان « الهاشمية » . البلدان لليعقوبى .

ونشــور الرَّاوندية[1] بأبى جعفر المنصور فى مدينته « الهاشمية » فيكره سُكناها — وإلى جانب «الهاشمية» : «الكوفة» — وهو لا يأمن أهلها على نفسه، فيخرج يرتاد له موضعا يتخذه مقاما له ولجُنده، فينحدر إلى « جَرْجَرايَا » ، ثم يصير إلى « بغداد » ويتركها ويمضى إلى « الموصل » ثم يعود إليها ثانية[2] .

ويسأل «أبو جعفر» عن اسمها فيُخبر به، فيقول: هذه والله المدينة التى أعلمنى بها أبى « محمد بن علىّ » أنّى أبنيها وأنزلها وينزلها ولدى من بعدى[3] .

وقيل إن متطببا نصرانيًّا «بالمدائن» هو الذى أنهى إلى « المنصور » — وقد علم السبب فى خروجه — أن رجلا يدعى مِقلاصًا[4]، يبنى مدينة بين «دِجْلة» و «الصَّراة»، فيقول المنصور : إنى والله كنت أدعى مقلاصًا وأنا صبىّ[5]، ثم زال عنى .

ويقال: إن أبا جعفر لما عاد إليها من الموصل قال: هذا موضع معسكر صالح، هذه «دجلة» ، ليس بيننا وبين «الصين» شىء، يأتينا فيها كل ما فى البحر، تأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك . وهذا « الفرات » ، يجىء فيه كل شىء من الشام والرَّقة وما حول ذلك . فنزل وضرب عسكره على الصراة واختط المدينة[6] .

وفرغ أبو جعفر المنصور من بنائها سـنة ١٤٦ من الهجرة ، ونزلها مع جنده وسماها : مدينة السلام[7] .

---

(١) الراوندية : من الروافض الحلولية ، الذين قالوا بتناسخ روح الإله فى الأئمة . وقد ادّعى الراوندية هذا فى أبى مسلم ، صاحب دولة بنى العباس . (الفرق بين الفرق ١٦٣) .

(٢) الطبرى (٦ : ٢٣٤) مطبعة الاستقامة — الكامل لابن الأثير (٥ : ١٤) طبع إدارة الطباعة المنيرية . (٣) البلدان لليعقوبى .

(٤) مقلاص : لص كان فى ناحيـة بغداد مشهور بالسرقة . لقبت المنصـور به داية كانت له ، حين أخذ غزلا لها ، وهو صغير دون علمها . وقد ذكر ياقوت تفصيل ذلك فى رسم « بغداد » .

(٥) الكامل لابن الأثير . (٦) الطبرى . (٧) تاريخ بغداد (١ : ٧٨) .

والحديث طويل عن بناء أبي جعفر لبغداد، وما أعدّ لذلك، وما أنفق فيه، والحال التي أنشأها عليها، ورسمها لها، ساقه ياقوت في : معجم البلدان، واليعقوبي في كتابه : البلدان، والطبري في تاريخه، وابن الأثير في كتابه : الكامل، وابن الخطيب في كتابه : تاريخ بغداد، والأصطخري، وابن حوقل، والمقدسي، والبلاذري، وابن جُبير، وابن بطوطة، ثم عليّ ظريف الأعظمي في كتابه : « مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث (1) »، وكارل بروكلمان في كتابه : تاريخ الشعوب الإسلامية (2)، والخضري في كتابه : تاريخ الأمم الإسلامية (3).

✢

وتبقى « بغداد » مُقام الخلفاء العبّاسيين حتى أيام المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد (٢١٨ هـ — ٢٢٧ هـ) ويُكثر المعتصم من الجند الأتراك حين يسوء ظنّه بالعرب من حوله، وتضيق «بغداد» ذَرْعًا بهؤلاء الجند، ويرى «المعتصم» أنْ لا غنى له عنهم، ولا مُقام له ببغداد بهم، فيخرج بهم من «بغداد» إلى «سُرَّ مَنْ رَأَى» التي ابتناها وجعلها دارا للخلافة، وكان ذلك سنة ٢٢١ هـ (4).

ويثور الجند الأتراك بالخليفة المهتدي بالله ويقتلونه، ويلتفون حول «المعتمد على الله العباس بن أحمد» ويقيمونه خليفة (٢٥٦ هـ — ٢٧٩ هـ).

وقبل وفاة «المعتمد» بعام — أي سنة ٢٧٨ هـ — يعود إلى «بغداد» ويجعلها دارا للخلافة كما كانت من قبل.

---

(1) طبع في مطبعة الفرات ببغداد سنة (١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م).
(2) الترجمة العربية (٢ : ٨) دار العلم للملايين — بيروت.
(3) طبع في مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م.
(4) الطبري — ابن الأثير — البلدان.

الخلفاء والنهضة العلمية والأدبية :

وما إن نزل المنصور « بغداد » بعد أن ابتناها منتقلا عن « الهاشمية » إليها، حتى نقل إليها خزائنه ودواوينه، وفرغ لنشر العلوم، واستدعى إليه المترجمين .

فقدم عليه عام ست وخمسين ومائة رجل من الهند ، عالم بحساب النجوم ، بكتاب مؤلف فى ذلك، فيأمر « المنصور » بترجمته إلى العربية .

ومن قبل ذلك ترجم ابن المقفع (١٠٦ هـ — ١٤٢ هـ) له كتب أرسطاطاليس فى المنطق ، وكتاب كليلة ودمنة[١] .

وقرّب إليه علماء الفقه والحديث ، وحَسْبُهُ أنَّ عهده أظـلّ منهم أمثالَ أبى حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠هـ — ١٥٠هـ) صاحب التآليف النافعة[٢] .

هذا إلى ماعُرِف عن « المنصور » من أنه كانت له مُدوّنات علميـة ، وكان شديد الولع بها والحرص عليها، ويقال أنه أوصى بها ابنه « المهدى » عند وفاته[٣] .

ثم لقد كان « المنصــور » من أحسن رُواة الحديث ، وله ذوق فى الشعر ، يقوى به على نقد الشعراء، ومعرفة جيد القول من رديئه، والمنحول والمسروق[٤] .

ويروى أبو الفرج الأصبهانى أن المنصور لـما مات ابنـه جعفر ، وانصرف إلى قصره بعد دفنه، قال للربيع وزيره : انظر مَن فى أهلى يُنشدنى :

* أمن المنون وريبها تتوجع *

---

(١) طبقات الأمم لابن صاعد طبعة بيروت .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية (٢ : ١١)

(٣) ابن الأثير (٦ : ٧) .

(٤) البيـان والتبيين (٢ : ١٥٦) .

حتى أتسلى بهـا عن مُصيبتى . « فطلب » الربيع ذلك فى بنى هاشم ، فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور : والله لَمُصيبتى بأهل بيتى ألاّ يكون فيهم واحد يحفظ هذا لِقلة رغبتهم فى الأدب ، أعظم وأشد علىّ من مصيبتى بأبنى[1] .

وهكذا أسس « المنصور » لحياة علمية أدبية فى « بغداد » ، وكان أول من أنشأ بها مَدارس للطب والعلوم الدينية ، أنفق فى سبيلها أموالا طائلة[2] .

وحسبه أنه لم ينس ، وهو يُقطع القطائع فى بغداد ، أن يُقطع الشعراء والكُتّاب ، فأقطع أبا دُلامة زَنْد بن الجَوْن الشاعر (١٦٠هـ) كما أقطع آبن أبى سعلى الشاعر ، وكذلك أقطع عُمارة بن حمزة الكاتب (١٨٠ هـ)[3] .

وعلى هذه الحال التى بدأ بها «أبو جعفر» سارت الحياة فى «بغداد» ، لم يتخلف عنها آبنه « المهدىّ » ، فقد كان هو الآخر نقادة للشعر أديبا[4] .

وفى أيامه وضع له وزيره «أبو عبيد الله معاوية بن يسار» كتاب الخراج ، ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده .

وهو أوّل من صنف كتابا فى الخراج ، وتبعه الناس بعد ذلك فصنفوا فى هذا الفن[5] .

وألف له « المفضل الضبى » المفضليات .

---

(١) الأغانى (٦ : ٦١) . (٢) تاريخ بغداد القديم والحديث (ص ١٠) .

(٣) تاريخ بغداد (١ : ٨٦ — ٨٧) .

(٤) إرشاد الأريب (٦ : ٣ — ١١) الأغانى (٣ : ٥٥) .

(٥) تاريخ الأمم الإسلامية (٨٩) .

وفى حجر « المهدى » نشأ ابنه « إبراهيم » أديبا شاعرا موسيقيا . ولقد شارك فى التأليف، فألف كتابا فى الأدب سماه « أدب إبراهيم » ، وكتابا فى الطبخ ، وآخر فى الطب، وكتابا فى الغناء . إلا أنها كلها لعبت بها يد الزمان فضاعت فيما ضاع[1] .

* * *

وتنتقل الأمور إلى الرشيد (١٧١ هـ — ١٩٣ هـ) ولم يكن دون سابقيه رغبة فى العلم، وحبا للعلماء، وولوعا بالأدب. ولقد حكى عنه أنه كان يحفظ شعر ذى الرمة[2] .

ولقد أفسح للعلمــاء والحكماء والأدباء ، وبذل الكثير من المــال لنشر العلوم والفنون ، وبلغت « بغداد » فى أيامه مكانة لم تظفر بها مدينة فى ذلك العهد .

وأصبحت مهد الحضارة، ومركزا للفنون والآداب، وزخرت بالأدباء والشعراء والعلماء والحكماء .

وأنشئت فيهــا المراصد والمكتبات والبيمارستانات والمدارس . وإليــه يعزى تأسيس بيت الحكمة، الذى جمع له من الكتب شيئا كثيرا، وكان مجتمع المتصلين بالعلم ، والمشتغلين بالفن ، والراغبين فى الأدب[3] .

* * *

ويلى الخلافة «الأمين» (١٩٣ هـ — ١٩٨ هـ) فتُشغل «بغداد» شيئا بالفتنة التى ثارت بينه وبين أخيه «المأمون» .

ولكن الزمن لا يمتد بتلك الفتنة كثيرا حتى يمضى «الأمين» مقتولا، ويقبض المأمون (١٩٨ هـ — ٢١٨ هـ) على زمام الأمر ، ويعود إلى « بغداد » نشاطها العلمى والأدبى .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (٢٢) . (٢) الأغانى (٧ : ٣٩) .
(٣) مختصر الدول لابن العبرى .

ويتجه «المأمون» إلى بيت الحكمة الذى أسسه أبوه «الرشيد» فيُفرد فيه لكل عالم رُكْنًا، فتزدحم جَنَبات هذا البيت بالعلماء والفلاسفة والمترجمين والمؤلفين وأئمة اللغة ورجال الأدب[1] .

ففى عهده بدأ أبو يوسف يعقوب الكندى ، فيلسوف العرب ، نشاطه الفكرى الذى لم يقف عند التعريف بالفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية عن طريق الترجمة والاقتباس ، بل عدا ذلك إلى دراسات فى التاريخ الطبيعى وعلم الظواهر الجوية .

وفى عهده ترجم «الحجاج بن يوسف بن مطر» مصنفات «إقليدس» ، وكتاب بطليموس ، المعروف بالمجَسطى .

وفى أيامه وضع «محمد الخوارزمى» أول كتاب مستقل فى الجبر[2] .

***

ولم تفقد «بغداد» حظها العلمى والأدبى فى الأيام الأولى من حياة «المعتصم» (٢١٨ هـ — ٢٢٧ هـ) . ولكنه ما كاد ينتقل عنها فى سنة ٢٢١ هـ إلى مدينته الجديدة «سُر من رأى» حتى بدأت الحياة العلمية والأدبية فى «بغداد» تخبو قليلا . وبقيت على ذلك فترة امتدّت إلى أواخر أيام الخليفة «المعتمد على الله» حتى إذا ما عاد إليها سنة (٢٧٩ هـ) دبت فيها الحياة مرة ثانية ، وعاد إليها نشاطها .

***

مظاهر الحياة الأدبية والعلمية ببغداد :

وهكذا مهّد الخلفاء لحياة زاهية ، انتعش فيها الأدب ، وانتعشت العلوم والفنون ، وشارك فى هذا وذاك جم غفير زَخرت بهم «بغداد» .

(١) الفخرى لابن الطقطقى .   (٢) تاريخ الشعوب الإسلامية (٢ : ٣٩ — ٤١) .

ويسجل لهـا التاريخ فى المـائة العام الأولى من تأسيسها صور هذا النشاط ، فترى أن ذلك القرن عاش فيه من الشعراء جملة ، كان لهم الشعر الحى الخالد ، منهم :

(١) مطيع بن إياس — الذى انقطع إلى جعفر بن أبى جعفر المنصور[١] .

(٢) أبو دلامة زند بن الجون (١٦١ هـ) الذى انقطع إلى أبى العباس السفاح ، والمنصور ، والمهدى[٢] .

(٣) حماد عجرد (١٦١ هـ) — وقد وفد على بغداد أيام المهدى[٣] .

(٤) بشار بن برد (١٦٧ هـ) — وقد نشأ فى البصرة ، ثم قدم « بغداد » بعـد أن بناها المنصور[٤] .

(٥) صالح بن عبد القدوس (١٦٧ هـ) — نشأ بالبصرة ووفد على الرشيد ببغداد[٥] .

(٦) السيد الحميرى (١٧٣ هـ) نشأ بالبصرة ووفد على الرشيد ببغداد[٦] .

(٧) مروان بن أبى حفصة (١٨١ هـ) قدم بغداد ومدح المهدى ثم الرشيد[٧] .

(٨) سلم الخاسر (١٨٦ هـ) وكان مداحا للبرامكة[٨] .

---

(١) الأغانى (١٢ : ٧٨ ، ١٣ : ٨٥ ، ٢١ : ٩٧) .

(٢) الأغانى (٧ : ١٣٠) وفيات الأعيـان (١ : ١٩٠) الشعر والشعراء (٤٧٨) طبقات الشعراء لابن المعتز (٥٤) .

(٣) الأغانى (١٣ : ٧٣) وفيات الأعيان (١ : ١٦٥) الشعر والشعراء (٤٩٠) ابن المعتز (٦٧) تاريخ بغداد (٨ : ١٤٨) ،

(٤) الأغانى (٣ : ١٩ ، ٦ : ٤٨) ، ابن خلكان (١ : ٨٨) الشـعر والشعراء (٤٧٦) ابن المعتز (٢١) تاريخ بغداد (٧ : ١١٢) .

(٥) ابن المعتز (٩٠) معجم الأدباء — تاريخ بغداد (٩ : ٣٠٣) فوات الوفيات (١ : ١٩١) .

(٦) الأغانى (٧ : ٢) ابن المعتز (٣٢) .

(٧) تاريخ بغداد (١٣/١٤٢) الأغانى (٩ : ٣٦) الشعر والشعراء (٤٨١) .

(٨) تاريخ بغداد (٢٤٢) الأغانى (٢١ : ١١٠) ابن المعتز (٩٩) .

(٩) منصور النمري — وكان موصولا بالرشيد[١] .

(١٠) أبان بن عبد الحميـد — وهو الذى نظم كتاب كليلة ودمنة شـعرا . وكان موصولا بالبرامكة[٢] .

(١١) العباس بن الأحنف (١٩٢ هـ) — سكن بغداد إلى أن توفى[٣] .

(١٢) أبو الشِّيص محمد بن رزين (١٩٦ هـ) — وكان معاصرًا لأبى نواس[٤] .

(١٣) أبو نُواس الحسن بن هانئ (١٩٨ هـ) — ولد فى الأهواز ، ونشأ بالبصرة، ثم انتقل إلى الكوفة ثم إلى بغداد[٥] .

(١٤) ابن مناذر محمد (١٩٨ هـ) — من شعراء البرامكة، واتصل بالرشيد[٦] .

(١٥) الرقاشىّ الفضل بن عبد الصمد (٢٠٠ هـ) — من أهل البصرة، وانقطع إلى البرامكة[٧] .

(١٦) أشجع السلمى — اتصل بالبرامكة، ثم اتصل بالرشيد[٨] .

(١٧) ربيعة الرقى بن ثابت الأنصارى — اتصل بالمهدى، والرشيد[٩] .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ : ٦٥) ابن المعتز (٢٤٢) الأغانى (١٢ : ١٧) ابن قتيبة (٥٤٦) .

(٢) تاريخ بغداد (٧ : ٤٤) الأغانى (٢٠ : ٧٣) الفهرست لابن النديم (١٦٣) .

(٣) تاريخ بغداد (١٢ : ١٢٨) والموشح (٢٩٠) الأغانى (٨ : ١٥) ابن خلكان (١ : ٢٤٥)

(٤) تاريخ بغداد (٥ : ٤٠١) الأغانى (١٥ : ١٠٨) ابن قتيبة (٥٢٥) .

(٥) تاريخ بغداد (٩ : ٤٣٦) ابن المعتز (١٩٣) ابن قتيبة (٥٠١) .

(٦) الأغانى (١٧ : ٩) ابن المعتز (١١٩) ابن قتيبة (٥٥٣) .

(٧) تاريخ بغداد (١٢ : ٢٤٥) ابن المعتز (٢٢٦) ابن قتيبة (٥١٥) الأغانى (١٥ : ٣٥) .

(٨) تاريخ بغداد (٧ : ٤٥) ابن المعتز (٢٥١) الأغانى (١٧ : ٣٥) وابن قتيبة (٥٦٢)

(٩) الأغانى (١٥ : ٣٩) خزانة الأدب (٧/٥٥) ابن المعتز (١٥٧) نكت الهميان (١٥١)

(١٨) مسلم بن الوليد (٢٠٩ هـ) — اتصل بالبرامكة، ثم المـأمون[1] .

(١٩) أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم (٢١١هـ)— نشأ بالكوفة، ثم وفد على بغداد أول خلافة المهدى[2] .

(٢٠) العكوك على بن جبلة (٢١٣ هـ) — من أهل بغداد، بها ولد ونشأ[3] .

(٢١) كلثوم بن عمرو العتابى (٢٢٠ هـ) — اتصل بالرشيد[4] .

***

هذا ركن من أركان الحياة الأدبية فى « بغـداد » ، يصوّر الناحية الشعرية وما اتسعت له من شعراء، وما امتلأت به من شعر .

وكان إلى جانب الشعراء : الرُّواة ، والإخباريون ، والنسابة ، يفيضون على النـاس من علوم السلف وأخبارهم ما يزيد فى ثقافتهم ، ويصلهم بتراثهم ، نسوق لك منهـم :

(١) أبا عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩ هـ) — نشأ بالبصرة ، ووفـد على الخلفاء ببغداد . ذكر له ابن النـديم فى كتابه « الفهرست » مائة مؤلف وخمسـة فى موضوعات شتى، فى : القرآن، واللغة، والأمثال، والفتوح، والأنساب والمثالب، وبيوتات العرب، وأيامهم، والتراجم .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ : ٢٦) ابن المعتز (٢٣٥) ابن قتيبة (٥٢٨) .

(٢) تاريخ بغداد (٦ : ٢٥) ابن المعتز (٢٢٨) ابن خلكان (١ : ٧١) .

(٣) تاريخ بغداد (١١ : ٣٥٩) ابن المعتز (١٧١) ابن قتيبة (٥٥٠) ابن خلكان (١ : ٣٤٨) الأغانى (١٨ : ١٠٠) .

(٤) تاريخ بغداد (١٢ : ٤٨٨) ابن المعتز (٢٦١) المرزبانى (٣٥١) الأغانى (١٢ : ٢) .

ولم يصلنا من هذه كلها إلا كتابه : نقائض جرير والفرزدق[1] .

(٢) الأصمعى عبد الملك بن قريب (٢١٤ هـ) — نشأ فى البصرة . وقـدم بغداد فى أيام الرشيد . ثم عاد عنها إلى البصرة لمـا ولى المأمون .

ذكر له ابن النديم فى كتابه «الفهرست» نيفاً وأربعين كتابا فى موضوعات مختلفة ، ذهب معظمها . ومما بقى له :

(ا) الأصمعيات . مجموعة مختارة من الشعراء .

(ب) رجز العجاج .

(جـ) أسمـاء الوحوش .

(د) كتاب الإبل .

(هـ) « خلق الإنسان .

(و) « الخيـل .

(ز) « الشـاء .

(ح) كتاب الدارات .

(ط) « الفـــرق .

(ى) « النبات والشجر .

(ك) « النخل والكروم .

(ل) « الغريب[2]

(١) تاريخ بغداد (١٣ : ٢٥٢) أخبار النحويين (٦٧) إنباه الرواة للقفطى (٣ : ٢٧٦) بغية الوعاة (٣٩٥) كما قد ترجم له ابن قتيبة فى هذا الكتاب .

(٢) تاريخ بغداد (١٠ : ٤١٠) أخبار النحويين (٥٨) إنباه الرواة (٢ : ١٩٧) ابن خلكان (١ : ٢٨٨) طبقات القـراء (١ : ٤٧٠) . اللبـاب لابن الأثير (١ : ٥٦) . مرآة الجنان (٢ : ٦٤) وقد ترجم له المؤلف فى هذا الكتاب .

(٣) أبا زيد سعيد بن أوس الأنصارى (٢١٥ هـ) — نشأ بالبصرة، وقدم بغداد حين قيام المهدى . ومن كتبه التى بقيت لنـا :

(ا) كتاب النوادر فى اللغة .

(ب) « المـطر .

(ج) « اللبن[1] .

(٤) أبا عبيد القاسم بن سلام (٢٢٣ هـ) — عاصر المأمون ، وكان منقطعا إلى عبد الله بن طاهر.

ذكر له ابن النديم بضعة وعشرين كتابا، لم يصلنا منها إلا :

(ا) كتاب غريب الحديث .

(ب) « « المصنف .

(ج) « الأمثـال .

(د) « فضائل القرآن .

(هـ) « المواعـظ[2] .

* * *

وغير هؤلاء الرُّواة رُواة آخرون غلبت عليهم رواية الشعر ، فكانوا حفظته ، وإليهم كان المرجع فيه ، نذكر منهم :

(١) حمادًا الراوية (١٥٦ هـ) — نشأ فى الكوفة ، وقدم على المنصور بغـداد ، وهو الذى جمع المعلقات التى بين أيدينا ، وجمع أشعار أكثر القبائل، وجمع

(١) تاريخ بغداد (٩ : ٧٧) وفيات الأعيان (١ : ٢١٧) أخبار النحويين (٥٢) إنباه الرواة (٢ : ٣٠) معجم الأدباء (١١ : ٢١٢) تهذيب التهذيب (٤ : ٣) طبقات الزبيدى (١١٦)

(٢) وفيات الأعيان (١ : ٤١٨) إنباه الرواة (٣ : ١٢) طبقات القراء (٢ : ١٦) روضات الجنان (٥٢٦) تذكرة الحفاظ (٢ : ٥)

شعر كل قبيلة أو شاعر فى كتاب . ولكنها ضاعت كلها، ولم يذكر صاحب الفهرست منها شيئا[1] .

(٢) المفضل بن محمد الضبي (١٦٨هـ) — وفد على المهدى فقربه، وجمع له الأشعار المختارة التى سماها : المفضليات .

وله غير «المفضليات» كتاب الأمثال[2] .

(٣) أبا عمرو الشيبانى إسحاق بن مرار (٢٠٦ هـ) — وقد جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة .

وله مؤلفات فى : الخيل، والحديث، والنوادر، وخلق الإنسان، والحروف . ذكرها صاحب الفهرست . ولم يصلنا منها إلا كتاب الجيم فى اللغة[3] .

(٤) محمد بن سلام الجمحى (٢٣٢ هـ) — صاحب كتاب طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين[4] .

* * *

وكما ظفرت «بغداد» بالشعراء ورُواة الأشعار ظفرت أيضا بطائفة من علماء النحو أثاروا فيها الرأى، ورسموا للنحو رسومه، وبينوا مناهجه، منهم :

(١) الأغانى (٥ : ١٦٤) وفيات الأعيان (١ : ١٦٤) .

(٢) تاريخ بغداد (١٣ : ١٢١) ميزان الاعتدال (٢ : ٤٩٨) طبقات القراء (٢ : ٣٠٧) الأنساب للسمعانى (٣٦١) .

(٣) تاريخ بغداد (٦ : ٣٢٩) ابن خلكان (١ : ٦٥) معجم الأدباء (٢ : ٢٣٣) إنباه الرواة (١ : ٢٢١) روضات الجنات (١٠٠) .

(٤) تاريخ بغداد (٥ : ٢٢٧) طبقات الزبيدى (١٢٧) اللباب (٣٢٦) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى (٢٠٨) إنباه الرواة (٧ : ١٤٣) طبقات ابن قاضى شهبة (١ : ٥٧) معجم الأدباء (٨ : ٢٠٤) .

(١) سيبويه عمرو بن عثمان (١٨٣ هـ) — نشأ بالبصرة، ورحل إلى بغـداد، واتصل بالرشيد ونال جوائزه .

والناس يعدون « كتاب سيبويه » من الأصول فى النحو[١] .

(٢) الكسائى علىّ بن حمزة (١٨٩ هـ) — استقدمه الخلفاء العباسيون إلى بغداد ليعلم أبناءهم . وقدمه البرامكة ورفعوا شأنه .

وقد ألف الكسائى كتبا عدة فى : النحو، والقراءات، والنوادر. لم يصلنا منها إلا رسالة له فى لحن العامة[٢] .

(٣) الفرّاء أبو زكريا يحيى بن زياد (٢٠٧ هـ) — حظى عند « المأمون » وعهد إليه بتعليم ابنيه النحو .

وله مؤلفات عدة فى النحو واللغة، ولم يصلنا منها إلا :

(ا) كتاب معانى القرآن .

(ب) « المذكر والمؤنث[٣] .

(٤) ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (٢٤٤ هـ) — وكان يؤدّب ولد جعفر المتوكل .

وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفا فى : النحو، واللغة، والمنطق. ذكرها صاحب الفهرست، لا نعرف منها إلا :

---

(١) ابن خلكان (٢ : ٩٩) أخبار النحويين (٤٨) إنباه الرواة (٢ : ٣٤٦) طبقات الزبيـدى (٣٨) طبقات القراء (١ : ٦٠٢) طبقات ابن قاضى شهبة (٢ : ٢٠٦) .

(٢) تاريخ بغـداد (١١ : ٤٠٣) إنبـاه الرواة (٢ : ٢٥٦) مرآة الجنان (١ : ٤٢١) طبقات الزبيدى (٨٨) بغية الوعاة (٣٣٦) .

(٣) وفيات الأعيان (٢ : ٢٢٨) شذرات الذهب (٢ : ١١٥) الفهرست (٦٦) .

(ا) كتاب إصلاح المنطق .

(ب) « تهذيب الألفاظ[1] .

* * *

وإلى جانب الشعراء، ورُواة الشعر، وعلماء النحو، كان فى « بغداد » صفوة من رجال اللغة نهضوا بعبء المعاجم فى أول عهدها، منهم :

(١) الخليل بن أحمد (١٨٠ هـ) — نشأ فى البصرة غير بعيد عن بغداد .

وهو أول من ضبط اللغة وأخرج علم العروض إلى الوجود، ومن كتبه :

(ا) كتاب العين — معجم مرتب على مخارج الحروف .

(ب) « فى معنى الحروف .

وقد ذكر له ابن النديم من المؤلفات : كتاب النغم، وكتاب العروض، وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشـكل، وكتاب الإيقاع . غير أن هذا كله قد ضاع[2] .

(٢) مؤرج بن عمـر السّدوسى (١٩٥ هـ) — صحب المأمون .

وله من المؤلفـات : كتاب الأنواء، وكتاب غريب القرآن، وكتاب جماهير القبائل، وكتاب المعـانى . وكتب أخرى غيرها، لم يصلنا منها شىء[3] .

---

(١) وفيات الأعيان (٢ : ٣٠٩) الفهرست (٧٢) طبقات الزبيدى (٢٢١) .

(٢) أخبار النحويين (٣٨) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ١٧٧) وفيات الأعيان (١ : ١٧٢) طبقات القراء (١ : ٢٧٥) اللباب (٢ : ٢٠١) معجم الأدباء (١١ : ٧٢) مراتب النحويين (٤٣) .

(٣) وفيات الأعيان (٢ : ١٣) تاريخ بغداد (١٣ : ٥٨) طبقات ابن قاضى شهبة (٢ : ٢٦١) معجم الأدباء (١٩ : ١٩٦) إنباه الرواة (٣ : ٣٢٧) وقد ذكره المؤلف فى هذا الكتاب .

(٣) النضر بن شميل (٢٠٣ هـ) — وقد اتصل بالمأمون .

وله كتب عدة ذكرها ابن النديم . ولم يصلنا منها إلا كتاب : غريب الحديث[(١)] .

(٤) قطرب أبو على محمد بن المستنير (٢٠٦ هـ) — نشأ بالبصرة، ولم تنقطع صلته ببغداد . وله مؤلفات منها :

(أ) كتاب الأضداد .

(ب) ما خالف فيه الإنسان البهيمة .

(جـ) الأزمنـــة .

(د) مثلث قطرب[(٢)] .

(٥) ابن الأعرابى أبو عبد الله محمود بن زياد (٢٣١ هـ) .

له من الكتب الباقية إلى اليوم :

(أ) كتاب أسماء البقر وصفاتها .

(ب) كتاب أسماء الخيل وأنسابها[(٣)] .

*
* *

وتنشط الكتابة بنشاط الحياة فى بغداد، ويجمع لها كتاب منشئون، منهـــم :

---

(١) وفيات الأعيان (٢ : ١٦١) فهرست ابن النـديم (٥٢) مراتب النحويين (١٠٣) طبقات القراء (١ : ١٤١) .

(٢) أخبار النحويين (١٩) مراتب النحويين (١٠٨) تاريخ بغداد (٣ : ٢٩٨) إنباه الرواة (٣ : ٢١٩) معجم الأدباء (١٩ : ٥٢) روضات الجنات (٥٨٥) .

(٣) تاريخ بغداد (٥ : ٢٨٢) إنباه الرواة (٣ : ١٢٨) ابن خلكان (١ : ٤٩٢) معجم الأدباء (١٨ : ١٨٩) مراتب النحويين (١٤٩) .

(١) طاهر بن الحسين (٢١٧ هـ) — وكان متصلا بالمـأمون[1] .

(٢) أحمد بن يوسف (٢١٣ هـ) — كاتب المـأمون .

(٣) عمرو بن مسعدة (٢١٧ هـ) — وكان مختصا بالبرامكة[2] .

(٤) حميد بن مهران — كاتب البرامكة .

* * *

وإلى جانب الكُتّاب المُنشئين كان هناك كُتّاب مؤلفون، نذكر منهم :

(١) عبد الله بن المقفع (١٤٣ هـ) — وكان مختصا بالمنصور .

وله من الكتب : كتاب كليلة ودمنة — الأدب الصغير — الدرّة اليتيمة (الأدب الكبير) — رسالة فى الأخلاق .

وله كتب أخرى نقلها عن الفارسـية ، منها : كتاب التاج فى سـيرة أنوشروان — كتاب سيرة ملوك العجم — وقد نقل عنه ابن قتيبة فى كتابه : عيون الأخبار[3] .

(٢) سهل بن هارون (١٧٣ هـ) — أقام فى «بغداد» يخدم المأمون . وقد تولى له رياسة خزانة بيت الحكمة .

وله من الكتب : ديوان الرسائل — والإخوان — والمسـائل — وغيرها[4] .

---

(١) وفيات الأعيان (١ : ٢٣٥) .

(٢) وفيات الأعيان (١ : ٣٩٠) .

(٣) وفيات الأعيان (١ : ١٤٩) تراجم الحكماء للقفطى (١٤٨) الفهرست (١١٨) الوزراء والكتّاب للجهشيارى (١٠٣) .

(٤) البيان والتبيين (١ : ٣٠) الفهرست (١٢٠) الدميرى (١ : ٣١٣) .

(٣) على بن عبيد الريحانى — وكان مختصا بالمـأمون .

وقد ذكر له ابن النديم نحوا من خمسين مؤلفا ، ضاعت كلها[١] .

* * *

ولم تنس «بغداد» نصيبها من الموسيقى والغناء. فلقد شاركت فيها مشاركة جدية على نحو مشاركتها فى العلوم، وانبرى لهذه نفر من رجالها يضعون فيها المؤلفات، منهم :

(١) يحيى بن أبى منصور، وقد ألف كتابا فى الأغانى على الحروف، وآخر فى العود والملاهى، إلا أنهما ضاعا فيما ضاع[٢] .

(٢) إسحاق بن إبراهيم الموصلى (٢٣٥ هـ) — وقد نادم الرشيد والمـأمون والواثق .

ومن مصنفاته : كتاب فى الأغانى — أخبار عزة الميلاء — أغانى معبد — الاختيار من الأغانى — الرقص والزفن — النغم والإيقاع — قيان الحجاز ، وغـيرها[٣] .

(٣) إبراهيم بن المهدى (٢٢٤ هـ) — وكان قد طمع فى الخلافة، فلما استتب الأمر لأخيه المـأمون انصرف هو إلى الغناء[٤] .

* * *

وفى ظل الخلافة البغدادية الأولى ضُبط الفقه ودوّنت أحكامه ، نذكر من أئمته :

---

(١) الفهرست (١١٩) .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ١٥٨)

(٣) الفهرست لابن النديم (١ : ١٤٠)

(٤) وانظر تاريخ الغناء فى الجاهلية والإسلام (٣ : ١٩٧، ٥ : ٣٢) من تاريخ التمدن الإسلامى .

(١) أبا حنيفة النعمان (١٥٠هـ) — نشأ بالكوفة، واتصل بأبى جعفر المنصور.

ومن مؤلفاته الباقية : الفقه الأكبر — مسند أبى حنيفة — المخارج فى الحيل[1].

(٢) أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم (١٨٢ هـ) — تولى قضاء «بغداد» للهدى والرشيد. ومن مؤلفاته الباقية : كتاب الخراج[2].

(٣) محمد بن الحسن الشيبانى (١٨٩ هـ) — نشأ بالكوفة، واتصل بالرشيد، وألف كتبا كثيرة فى الفقه وغيره، منها :

كتاب المبسوط — كتاب الزيادات — الجامع الكبير — الجامع الصغير[3].

(٤) أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) — ولد فى بغداد وبها نشأ. ومن مؤلفاته : المسند فى الحديث — السنة موصل المعتقد إلى الجنة — كتاب الزهد[4].

***

واشتغل بالحديث فى هذا العصر جماعة كبيرة، منهم ببغداد :

(١) ابن جريج (١٤٩ هـ).

(٢) الواقدى (٢٠٧ هـ).

كما كان منهم نفر قريبون من بغداد، منهم :

(١) سفيان الثورى (١٦١ هـ).

(٢) زياد البكائى (١٨٣ هـ).

---

(١) تاريخ بغداد (١٣ : ٣٤٣) وفيات الأعيان (٢ : ١٦٣) الفهرست (٢٠١).
(٢) الفهرست (٢٤٩) وفيات الأعيان (٢ : ٣٠٣).
(٣) وفيات الأعيان (١ : ٤٥٣) وقد ترجم له المؤلف فى هذا الكتاب.
(٤) تاريخ بغداد (٤ : ٤١٢) الفهرست (٢١٩).

(٣) ابن عياش (١٩٣ هـ) .

(٤) عبد الله بن مسلمة (٢٢١ هـ) .

وفى ظل الخـلافة البغدادية الأولى بدأ التاريخ يأخذ مظهره الحـق ، ويفرغ له نفر من المؤرخين ، منهم :

(١) محمد بن إسحاق (١٥١ هـ) — اتصل بالمنصور ، ومات ببغداد . وكان عالما بالمغازى والسير .

وله : كتاب السيرة[1] .

(٢) هشام بن محمد بن السائب الكلبى (٢٠٦ هـ) — نشأ بالكوفة ، وكان موصولا بالحياة فى بغداد .

وقد عدّوا له نيفا ومائة وخمسين كتابا ، منها :

جمهرة الأنساب — الأصنام — بيوتات قريش — الكنى — بيوتات اليمن — تاريخ أجناد الخلفاء — تسمية من بالحجاز من أجناد العرب[2] .

(٣) الواقدى محمد بن عمر (٢١٧ هـ) — قربه المأمون وولاه القضاء بشرقى بغداد .

وقد ذكر ابن النديم له نحوا من ثمـانية وعشرين كتابا ، بين أيدينا منها :

(أ) كتاب المغازى .

(ب) كتاب فتوح الشام .

(جـ) فتح إفريقيا .

---

(١) ابن خلكان (٦ : ٤٨٣) .

(٢) وفيات الأعيان (٢ : ١٩٥) الفهرست (٩٥) معجم الأدباء (٢٨٧/١٩) .

(د) كتاب فتح مصر والإسكندرية[1] .

(٤) ابن سعد محمد (٢٣٠ هـ) ــ ولد فى البصرة، وسكن بغداد ومات بها . وله : كتاب الطبقات الكبرى[2] .

* * *

هـذا إجمال للبيئة التى تلقت صاحب كتابنا « المعارف » أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبـة (٢١٣ هـ ــ ٢٧٦ هـ) تصف شيئا يسبق مولده ، وشيئا يصاحبه فى صباه حتى شب .

وهو حين جاوز مرتبة التحصيل ، وأصبح يعدُّ من الشيوخ، كان إلى جواره فى « بغداد » ، وقريبا من « بغداد » ، أمثال هؤلاء الذين مرّ بك حديثهم ، فلقد عاصر من الشعراء :

(١) دعبلا الخزاعى (٢٤٦ هـ) ــ نشأ بالكوفة، ودخل إلى بغداد أيام الرشيد[3] .

(٢) الحسين بن الضحاك (٢٥٠ هـ) ــ اتصل بالأمين ثم المأمون[4] .

(٣) ابن الرومى أبا الحسن على بن العبـاس (٢٨٣ هـ) ــ وكان من موالى العباس . ولد فى بغداد وبها توفى .

(٤) البحترى أبا عباد ، الوليـد بن عبيد (٢٨٤ هـ) . وقد أقام ببغـداد دهرا طويلا .

(٥) ابن المعتز أبا العباس عبد الله .

(٦) فضل ، جارية المتوكل العباسى .

(١) وفيات الأعيان (١ : ٥٠٧) الفهرست (٩٨) وقد ترجم له المؤلف فى هذا الكتاب .

(٢) وفيات الأعيان (١ : ٥٠٧) الفهرست (٩٩) .

(٣) تاريخ بغداد (٨ : ٣٨٢) ابن قتيبة (٥٣٩) ابن المعتز (٢٦٤) الأغانى (١٨ : ٢٩) ابن خلكان (١ : ١٧٨) .

(٤) تاريخ بغداد (٨ : ٥٤) ابن المعتز (٢٦٤) الأغانى (٦ : ١٧) ابن خلكان (١ : ١٥٤) .

٭٭٭

كما عاصر من الكتاب .

الجاحظ أبا عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥ ﻫ) .

ومن مؤلفاته : الحيوان — المحاسن والأضداد — الرسائل — البيان والتبيين — البخلاء .

ومن الرواة الأدباء :

السكرى أبا سعيد الحسن بن الحسين (٢٧٥ ﻫ) . الذى جمع ما بين أيدينا من أشعار الجاهليين وصدر الإسلام الى أيامه .

ومن النحاة :

أبا العباس المازنى (٢٤٩ ﻫ) — وأبا العباس ثعلب (٢٩١ ﻫ) .

ومن اللغويين :

المفضل بن سلمة الضبي (٢٥٠ ﻫ)—وأبا عمرو الهروى (٢٥٥ ﻫ)— وأبا حاتم السجستانى (٢٥٥ ﻫ) — وأبا العباس المبرد (٢٨٥ ﻫ) .

ومن المؤرخين :

محمد بن حبيب مولى بنى العباس (٢٤٥ ﻫ) — والزبير بن بكار (٢٥٦ ﻫ)— الذى وفد على « بغداد » مرات، آخرها سنة ٢٥٣ ﻫ — وعمر بن شبة (٢٦٢ ﻫ)— واليعقوبى أحمد بن أبى يعقوب (٢٧٨ ﻫ) — والبلاذرى أبا جعفر أحمد بن يحيى (٢٧٩ ﻫ) .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية .

وابن طيفور أحمد بن طاهر (٢٨٠هـ) — وأبا حنيفة الدينورى (٢٨٢هـ).

ومن الجغرافيين :

ابن خرداذبه عبيد الله بن أحمـد (٢٨٠ هـ) — وابن الفقيـه أحمد بن محمد (٢٨٠هـ).

ومن علمـاء الكلام :

أبا الهذيل محمد بن الهذيل العلاف (٢٣٢ هـ).

ومن علمـاء الحديث :

البخارى محمد بن إسماعيل (٢٥٦ هـ) — وابن ماجة محمد بن يزيد (٢٧٣ هـ) — وأبا داود السجستانى (٢٧٥ هـ).

ومن الفلاسفة والمنطقيين :

ابن ما سويه يوحنا (٢٥٣ هـ).

وهناك غير هؤلاء ممن عاصرهم المؤلف، ولكنها كانت معاصرة قصيرة الأمد، أدرك هو منها قليلا، وامتدت بهم السن كثيرا، منهم :

الرازى (٣٢٠ هـ) — والطبرى (٣١٠ هـ) وابن دريد (٣٢١ هـ) — والزجاج (٣١١).

ولكنهم كانوا ممن عمروا تلك البيئة وأيقظوها، ووقع المؤلف على مالهم، وإن لم يدركه كله.

٭٭٭

إجمال عن الحياة العلمية :

لقد رأيت كيف حفلت هذه الفترة الصغيرة، التى لا تزيد عن قرن إلا بقليل، بتلك الكثرة من العلماء على مختلف ألوانهم .

يعزو الدارسون ذلك إلى أن من ولى خلافة «بغداد» فى تلك الفترة كانوا من الخلفاء العلماء، فرغبوا فى العلم وأحسنوا وفادة أهله وشجعوهم عليه، فانتعشت بغداد بمن فيها وبمن وفد إليها، وأصبحت ميدانا لحركة علمية فكرية واسعة .

ويكتب لهذه الحركة أن تبلغ أوجها على يدى المأمون، ويكون المأمون نفسه على رأس تلك الحركة عالمـًا يشارك العلماء الرأى، ويأخذ معهم فى الحديث .

ويسود العصر لون من التسامح الفكرى يشجِّع العلمـاء والمفكرون فى ظله على القول، فكان لذلك أثره الكبير فى ظهور الفرق الكلامية، واحتدام الجدل بينها .

ولقد كان أكثر الخلفاء تسامحا المأمون[1] . فظهر فى هذا العصر نفر من جلة العلماء ورؤوس المتكلمين أوغلوا فى البحث معتمدين على العقـل، مخالفين بمـا يقولون ما عليه علماء المسلمين .

ونشأ هـذا الخلاف أول ما نشأ فى البصرة، ثم عداها إلى بغداد؛ حمل لواءه واصل بن عطاء، ثم عمرو بن عبيد — الذى قربه المنصور إليه — ثم أبو الهذيل العلاف، والنظام، والمريسى بشر بن غياث، والجاحظ، وثمـامة بن أشرس، من شيوخ الاعتزال .

(١) تاريخ بغداد لابن طيفور (٧٦)

ومضى الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة يتسع ، حتى تُوِّج أخيرا بتلك المشكلة التى مال فيها المأمون إلى رأى المعتزلة — وهى مشكلة خلق القرآن — تلك المشكلة التى شغلت المأمون أكثر مما شغلت المتكلمين ، وعنّى بها المأمون نفسه كما عنّى بها المسلمين ، ووقف بناصب العداء كل من خالفه ، ويسومه سوء العذاب [1] .

ومن بعد « المأمون » يجىء « المعتصم » ، فيتورط فيما تورط فيه أخوه « المأمون » ، ويجىء « الواثق » فيمضى فيما مضى فيه أبوه « المعتصم » وعمه « المأمون » .

وٱستمرت هذه المحنة حتى ملها الواثق ، ووَدّ لو وجد لنفسه منها مخرجا ، حتى إذا ما جاء المتوكل (٢٤٧ هـ) أمر بأن يخلّى بين الناس وبين ما يرون .

* * *

و إلى جانب ها تين المدرستين الكلاميتين — مدرسة المعتزلة ومدرسة أهل السنة اللتين قسمتا الناس فئتين — كانت تقوم مدرستان أخريان ، لا فى علم الكلام ، ولكن فى شىء آخر أهون ، لا يثير خلافا ، لا يجر أذًى فى الأنفس ولا ضررا للأبدان ، هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، اللتان اشتغلتا بالنحو .

وكان لكل مدرسة من هاتين المدرستين رأيها فى النحو ، ولكل رأى أتباعه وأشياعه .

وكانت مدرسة البصرة هى المدرسة الأولى ، وعلى رأسها : أبو الأسود ، وابن أبى إسحاق الحضرمى ، وعيسى بن عمر الثقفى ، وهارون بن موسى .

---

(١) تاريخ الأمم الإسلامية (٢١٠ — ٢١٥) .

ثم جاء الكوفيون من بعــدهم فقلدوهم فى شىء وخالفــوهم فى شىء ، وقامت المناظرة بين البلدين ، وصار لكل منهما مذهب .

وعلى الرغم من تقدم مدرسة البصرة وسبقها ، فقد ظهرت عليها مدرسة الكوفة ، وذلك لمناصرة خلفاء بغداد لهم ، وتفضيل أساتذة هذه المدرسة الكوفية على أساتذة تلك المدرسة البصرية ، فلقد اختار هؤلاء الخلفاء لأولادهم : الكسائى ، والفراء ، والمفضل الضبى ، والشرقى بن القطامى ؛ وكلهم من المدرسة الكوفية .

ولقــد رأينا المأمون يتحامل على سيبويه فى المناظرة التى عقدها بينــه وبين الكسائى[1] .

* * *

هذا إلى أنه لمـا عمرت «بغداد» توافد الناس إليها من كل حَدَب وصَوْب ، فريق يطلب الكسب ، وفريق تستهويه الحيــاة العلمية والفكرية ، وفريق يطلب حياة الترف ؛ فإذا « بغــداد » معترك يَشارك فيــه إلى جانب العربى : الفارسى ، والرومى ، والنَّبطى ، والتركى ، والصينى ، والهنــدى ، والبربرى ، والزنجى . وفيهم : المسلم ، والنصرانى ، واليهودى ، والصابئى ، والسامرى ، والمجوسى ، والبوذى ، وغــيرهم .

وهؤلاء لاشك قــد حملوا إلى « بغــداد » ألوانا من الفكر والثقافــة ، سرعان ما انتفعت بها « بغــداد » وأثرت فيها .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (١٣٠) ضحى الإسلام (٢ : ٢٥) الإنصاف فى مسائل الخلاف .

***

وصحبت هـذا رغبة الخلفاء فى نقل العـلوم والفنون إلى اللغـة العربية، فبدأ «المنصور» يعتنى بنقل كتب النجوم والطب، ويجىء «الرشيد» فينقل فى أيامه كتاب المجسطى . ثم يظل عصر «المأمون» فتتسع حركة النقل فى أيامه . وكان أكثر هؤلاء النقلة من السريان النساطرة، لأنهم كانوا أقدر على الترجمة من اليونانية، وكان أشهرهم : آل بختيشوع، وآل حنين، وقسطا بن لوقا، وغيرهم .

وكان أشهر النقلة من الفارسية إلى العربية : ابن المقفع، والفضل بن نوبخت، وموسى ويوسف : ابنا خالد، وكثير غيرهم[1] .

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية): منكة الهندى، وابن دهن .

ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية) : ابن وحشية، نقل كتبا كثيرة، أهمها : كتاب الفلاحة النبطية .

ولقد بلغ عدد الكتب التى نقلت فى تلك الحقبة القصيرة بضع مئات .

***

هذا هو العصر الذى أقبل عليه ابن قتيبة والذى شارك فيه : عصر نزاع دينى، وعصر نزاع نحوى ، وعصر علوم مختلفة وثقافات متعددة . وكان بعيدا أن يعيش رجل مثل «ابن قتيبة» بمعزل عن هذا وذاك، بل كان لابد أن يتأثر به وينغمس فيه .

ولكنا قبل أن نصل الحديث بابن قتيبة نحب أن نمهد له بشىء عنه .

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامى (٣ : ١٤٠) تاريخ آداب اللغة العربية (٢ : ٣٣ — ٣٤) .

(٢) حيـاة المـــؤلف

ابن قتيبة(١)

نســـبه :

هو أبو محمد عبد الله — على هذا المراجع كلها ، وتأبى دائرة المعارف الإسلامية إلا أن تسميه : أبا عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة المروزى .

---

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب (٣٥٢ هـ) [ص ١٣٧] — التهذيب للأزهرى (٣٧٠ هـ) [مقدمة ١٢ ، ١٦] — طبقات النحويين للزبيـدى (٣٧٩ هـ) [ص ١٢٩] — الفهرست لابن النـديم (٣٨٥ هـ) [ص ٧٧] — تاريخ بغـداد للخطيب البغدادى (٤٦٣ هـ) [١٠ : ١٧٠] — الأنساب للسمعانى (٥٦٢هـ) [ص ٤٤٣] — نزهة الألبا لابن الأنبـارى (٥٧٧ هـ) [ص ٢٧٢ — ٢٧٤] — المنتظم لابن الجوزى (٥٩٧هـ) [ص ١٠٢] — اللباب لابن الأثير (٦٠٦ هـ) [٢ : ٢٤٢] — وفيـات الأعيان لابن خلكـان (٦٨١هـ) [٢ : ٢٤٦] — إنباه الرواة للقفطى (٦٤٦ هـ) [٢ : ١٤٣] — تهذيب الأسماء واللغـات للنووى (٦٧٦ هـ) — تذكرة الحفـاظ للذهبي (٧٤٨ هـ) [٢ : ١٨٧] — ميزان الاعتـدال للذهبي (٢ : ٣٣) — مرآة الجنان لليافعى (٧٦٨هـ) [٢ : ١٩١] البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ) [١١ : ٤٨] — الجواهر المضيئة للقـرشى (٧٧٥) — تاج التراجم فى طبقات الحنفيـة لابن قطلوبغا (٧٨٩) لسان الميزان لابن حجر (٨٥٢ هـ) [٣ : ٣٥٨] — النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٨٧٤ هـ) (٣ : ٧٥) بغية الوعاة للسيوطى (٩١١هـ) [ص ٢٩١] — طبقات المفسرين للداودى (٩٥٠) — قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر لمحمد الطيب (٩٥٢) — شذرات الذهب لابن العماد (١٠٣٢هـ) [٢ : ١٦٩] .

وانظـــر :

(١) ابن قتيبة — نوابغ الفكر العربى (١٨) .

(٢) تعريف بابن قتيبة — عيون الأخبار (٤ : مقدمة) . (٣) تعريف بابن قتيبة — كتاب الأشربة — مقـدمة . (٤) تعريف بابن قتيبة — كتاب الميسر والقداح — مقدمة .

(٥) تعريف بابن قتيبة — تأويل مشكل القرآن — مقدمة . (٦) تاريخ آداب اللغـة العربية (٢ : ١٩٧) . (٧) دائرة المعارف الإسلامية : ابن قتيبة .

(8) The life and works of IBN QUTAYBA by ISHAQ MUSA - HUSEINI

أما أبوه « مسـلم » فقد عرّفنا به أبو عبـد الله ، وأنه كان من أهل العـلم والحديث ، وإن لم يبلغ فى ذلك مبلغ آبنـه ، أو مبلغ من يسـجل له آسم ، لهـذا لم نجد كتابا من كتب المراجع ذكر آسمه .

ولو أن رجلنا «أبا محمد» سكت هو الآخر ولم يذكر آسمه ، فى أكثر من موضع من هذا الكتاب « المعارف » ، وفى كتابه «عيون الأخبار» حيث يقول : حدّثنى أبى [1] ، لما عرفنا هذا القليل عنه .

ويزيد ، «البغدادى» تعريفاً بأبيه «مسلم» فيقول : وقيل : إن أباه مروزى — يعنى أنه كان من أهل مرو .

وأما جده «قتيبة» فقد آختلفوا فى آشتقاق آسمه : فقالوا ، هو تصغير «قتبة» بالكسر ، واحدة الأقتاب ، وهى الأمعاء ، والنِّسبة إليه : قتبى .

وقال الزبيـدى : وفى التهذيب : ذهب الليث أن قتيبة مأخوذ من القتب ، ثم نقل عن الأمير المجاهد قتيبة بن مسلم — رحمه الله — أنه فسر آسمه بمعنى : إكاف .

ثم قال الزبيدى : وهذا يوافق ما قاله الليث .

مولده ووفاته :

ولا خلاف بين الذين ترجموا لأبى محمد فى السنة التى وُلد فيها — وهى سنة ٢١٣ هـ — وإن كان منهم نفر قد سكتوا عنها ، كالبغدادى ، لا يذكرون معها شهرا — كما يفعلون فى الكثير ، وكما فعلوا حين أرّخوا وفاته .

علة ذلك أنهم التقوا به حين ذاع آسمه ، فحرصوا على جمع مآله ، ولم يلتفتوا إليه حين دخل عليهم الدنيا ، لأنه لم يكن مقدورا .

---

(١) المعارف ، عيون الأخبار (١ : ١٤٢ ، ٢ : ٣٠٧) .

ولكنا لاندرى : لمَ فات المؤرخين أن يأخذوا ذلك عن لسان « أبى محمد » حين فاتهم أن يأخذوه عن لسان غيره، ولقد كان بينهم ملءَ العين والسمع .

والمؤرخون حين لا يذكرون الشهر الذى ولد فيه ، ويسكتون عنه ، يختلفون على أنفسهم حين يذكرون البلد الذى وُلد فيه .

فيذهبُ ابن النديم، وابن الأثير، وابن الأنبارى : إلى أنه ولد فى الكوفة . لاندرى هل تابع ابنُ الأنبارى (٥٧٧ هـ) ابنَ النديم (٣٢٨ هـ) فيها ، حين سبقه بها ، ثم قفّى على أثرهما ابن الأثير (٦٠٦ هـ)، أو انفرد كل بطريقه ؟ .

وهناك غير هؤلاء من المؤرخين الذين ذكرناهم من يذكرون أن مولده كان ببغداد، وأسبقهم بهذه الرواية البغدادى (٤٦٢هـ) ثم السمعانى (٥٦٢هـ)، ومن بعدهما القفطى (٦٠٦ هـ) لا يناقشون رواية غيرهم ممن سبقوهم ، بل لا نحس أنهم كانوا على علم بها، وأنهم كان لهم طريقهم الخاص .

وجلىّ أن هذه الإقامة فى «بغداد» قد تكون هى التى أوحت إلى من قالوا بأن مولده بها أن يقولوه ، وجلىّ أن من قالوا بأن مولده الكوفة ، وهم يعلمون إقامته ببغداد، كانوا بمعزل عن هذا الإيحاء، وملكوا شيئا خرجوا به عما يكاد يكون متفقا عليه ، يساندهم على ذلك أن أباه ليس بغداديا ، وأن الأسرة كانت غريبة على بغداد .

وكما كان الاختلاف فى البلد الذى ولد فيه ابن قتيبة، كان الاختلاف فى السنة التى مات فيها .

يروى ابن الأنبارى (٣٢٨هـ) عن ابن المنادى، عن أبى القاسم إبراهيم بن محمد ابن أيوب بن بشير الصائغ : أن ابن قتيبة أكل هريسة، فأصاب حرارة ، فصاح

صيحة شديدة ، ثم أغمى عليه إلى وقت صلاة الظهر ، ثم اضطرب ساعة ثم هدأ . فما زال يتشهد إلى وقت السحر ثم مات . وذلك أول ليلة من رجب سـنة ست وسبعين ومائتين .

ويتابع ابنَ الأنبارى على هذا جملةٌ من المؤرخين .

ويروى الخطيب البغدادى (٤٦٣ هـ) يقول : قرأت على الحسن بن أبى بكر ، عن أحمد بن كامل القاضى ، قال :

ومات عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين .

والخطيب البغدادى الذى ذكر هذا الخبر بسنده ، يذكر بعده الخبر الأول الذى ساقه ابن الأنبارى بسنده ، ولكنه لا يرجح خبراً على خبر .

ويجىء ابن خلكان (٦٨١ هـ) فيزيد على هاتين الروايتـين رواية فيقـول : توفى فى ذى القعدة سنة سبعين ، وقيل : سنة إحدى وسبعين . وقيل: أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين . ثم يزيد حاكما : والأخيرة أصح الأقوال .

ولكنّا نملك دليلا يزكى ابن خلكان فى ترجيحه :

وهو أن قاسم بن أصـبغ الأندلسى (٢٤٧ — ٣٤٠ هـ) وهو ممن أخذ عن ابن قتيبة ببغداد ، كانت رحلته إلى المشرق سنة ٢٧٤ هـ .

ولكن مؤرخا متأخرا ، وهو : الألوسى نعمان بن محمود بن عبد الله (١٣١٧ هـ) يقول فى كتابه : جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين (ص ٢٣٦) : « وقال أبو محمد عبد الله بن قتيبة المتوفى سنة ٢٦١ هـ » .

ولا ندرى دليل الألوسى على ما قال ، وأغلب الظن أنها زلة طباعة .

نسبته الى الدينور :

والدينور — كما تعلم — مدينة من أعمال الجبل ، قرب قرميسين ، و بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخا . وكان أبو محمد خرج إليها ليَـلِي فيها القضاء ، وأقام بها مدة فنُسب إليها ، ولكن لمن ولى أبو محمد القضاء ؟

نعرف أن أبا محمد كان موصولا بالوزير : أبي الحسن عبيد الله بن يحيي بن خاقان (٢٦٣هـ) ، وأنه صنف له كتابه « أدب الكاتب » ، وذكر هذا الوزير فى الخطبة وأثنى عليه ، إذ يقول : « فالحمد لله الذى أعان الوزير أبا الحسن أيده الله » .

و يقول أبو القاسم الزجاجى ، وهو يشرح خطبة « أدب الكاتب » : « يعنى : الخاقانى ، وهو عبيد الله بن يحيي الخاقانى ، لأنه عمل له هذا الكتاب فأحسن صلته وأصطنعه وصرفه » .

ويقول ابن الســيد البطليوسى فى « الاقتضاب » : « يعنى عبيد الله بن يحيي ابن خاقان . وكان وزير المتوكل ، حتى صرفه فى بعض أعماله » .

وقول « ابن الســيد » يدلنا على أن اصطناع الخاقانى لابن قتيبــة كان وهو وزير المتوكل إلى سنة (٢٣٧ هـ) ، ولم يكن وهو وزير المعتمد ، من سنة (٢٥٦ هـ) إلى سنة (٢٧٩ هـ) .

ولم يكن هذا الاصطناع الذى حباه به الخاقانى إلا ولاية قضاء الدينور .

وقد بويع المتوكل بالخلافة سنة (٢٣٢ هـ) ، وكان مقتله سنة (٢٤٧ هـ) .

وبين هاتين السنتين كانت ولاية « ابن قتيبة » لقضاء الدينور .

لا نعـرف فى أية ســنة بدأت ، ولكنا نميــل إلى أنها بقيت ببقاء الخــاقانى فى الوزارة ، أى إلى سنة (٢٤٧ هـ) .

وبعدها عاد « ابن قتيبة » إلى بغداد كما كان . وبهذه الإقامة فى « الدينور » نسب ابن قتيبة إليها فقيل : الدِّينورى .

نشأته وشيوخه :

وفى « بغداد » نشأ، يستوى فى ذلك أن يكون مولده بها أو بالكوفة، فإن كانت الأولى فليس ما يدفعها، وإن كانت الثانية فما نظنه أبعد عن بغداد كثيرا، وأنه لا شـك كان بها وهو فى سن التلقى . فسيمرّ بك أنه حدث عن « اللحيانى » وهو فى الثامنة عشرة من عمره. يدلك على ذلك قول البغدادى : « وسكن بغداد وحدث بها عن ... » ، ثم ذكر شيوخه . ولم يذكر له شيوخا ربط الحديث عنهم بغير بغداد . وشـيوخ ابن قتيبة الذين نريد أن نعرّفك بهم ، والذين ورد ذكرهم فى المراجع المختلفة ، هم :

(١) والده : مسلم بن قتيبة ، كما قدمنا ، يحدث عنه مرات فى كتابيه: عيون الأخبار(١)، والمعارف .

(٢) أحمد بن سعيد اللحيانى ، صاحب أبى عبيد القاسم بن سـلام . قرأ عليه : كتاب الأموال ، وكتاب غريب الحديث لأبى عبيد فى سنة (٢٣١ هـ) . ومعنى هذا أن عُمر « ابن قتيبة » كان عندها ثمـانية عشر عاما .

(٣) أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحى (٢٣١ هـ) صاحب طبقات الشعراء .

(٤) ابن راهويه أبو يعقوب إسحـاق بن إبراهيم (٢٣٨ هـ) وهو من أئمة الفقه والحديث . صحب الشـافعى وناظره ، وروى عنه : البخارى ، ومسلم ،

---

(١) عيون الأخبار (١ : ١٤٢ ، ٢٦٤ ، ٢ : ٣١٧) .

وأبو داود ، والـترمذى ، والنسائى . وفيـه يقول أحمد بن خليـل : « لا أعرف لإسحاق نظيرا » .

(٥) حرملة بن يحيى التجيبى (٢٤٣ هـ) صاحب الشافعى .

(٦) يحيى بن أكثم القاضى (٢٤٢ هـ) . ويقال : إن ابن قتيبة أخذ عنه بمكة ، ولعل ذلك كان فى حجة له .

(٧) المروزى أبو عبد الله الحسن بن الحسين بن حرب السلمى (٢٤٦ هـ) .

(٨) دعبل بن على الخزاعى، الشاعر (٢٤٦ هـ) .

(٩) أبو عبد الله محمد بن محمـد بن مرزوق بن بكير بن البهلول البـاهلى البصرى (٢٤٨ هـ) .

(١٠) الزيادى أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان (٢٤٩ هـ) تلميذ : سيبويه، والأصمعى، وأبى عبيدة .

(١١) أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى (٢٤٨ هـ — أو ٢٥٥ هـ) .

قال الأزهرى فى مقـدمة التهذيب (ص ١١) : وقد جالسه : شمـر، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ووثقاه .

(١٢) محمد بن زياد بن عبيـد الله بن زياد بن الربيع الزيادى البصرى (٢٥٢ هـ)

(١٣) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصواف الباهلى البصرى (٢٥٣ هـ) .

(١٤) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبى حزم القطعى البصرى (٢٥٣ هـ) .

(١٥) أبو الخطاب زياد بن يحيى بن زياد الحسانى البصرى (٢٥٤ هـ) .

(١٦) شبابة بن سوار (٢٥٤ هـ) .

(١٧) أبو عثمان الجاحظ (٢٥٤ هـ) . وفى ذلك يقول ابن قتيبة فى كتابه « عيون الأخبار » : « وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه . قال[1] ... » .

(١٨) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد البصرى (٢٥٧ هـ) .

(١٩) أبو طالب زيد بن أخزم الطائى البصرى (٢٥٧ هـ) .

(٢٠) أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشى، تلميذ الأصمعى (٢٥٧ هـ) .

(٢١) أبو سهل الصفار عبدة بن عبد الله الخزاعى (٢٥٨ هـ) .

(٢٢) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدى (٢٦٠ هـ) .

(٢٣) أبو بكر محمد بن خالد بن خداش بن عجلان المهلبى .

(٢٤) أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير .

قال الأزهرى فى مقـدمة التهذيب (ص ١١) : « وقدم عليـه ابن قتيبة فأخذ عنه » .

(٢٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب، ابن أخى الأصمعى .

(٢٦) محمد بن عبيد بن عبد الملك الأسدى، أبو عبد الله الهمدانى .

تلاميذه :

وممن جلسوا إلى ابن قتيبة يأخذون العلم عنه :

(١) ابنه أحمد . ويترجم له عياض فى كتابه « المدارك » فيقول : أبو جعفر ابن قتيبة ، هو أحمـد بن عبد الله بن مسلم الدينورى البغدادى النشـأة ، كان مالكى المذهب من أهل العلم والحفظ لكتب أبيه، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن .

(١) عيون الأخبار (٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩)

ويرد فيها ابن حفظه النقطة والشكلة، وما معه نسخة . كان أبوه محمد حفّظه إياها في اللوح، وعدّتها أحد وعشرون مصنفا، وهي : كتاب المشكل، معاني القرآن، غريب الحديث، عيون الأخبار، مختلف الحديث، التفسير، الفقه، المعارف، أعلام النبوّة، العرب والعجم، الأنواء، طبقات الشعراء، معاني الشعر، إصلاح الغلط، أدب الكاتب، الأبنية، النحو، المسائل، القراءات . سمع منـه خلق عظيم ... ولي قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ... وتوفي في ربيع الأوّل سنة اثنتين وعشرين بمصر بعد صرفه . وكانت ولايته القضاء بمصر ثلاثة أشهر .

وقد قرأ على أبي جعفر أحمد أبو على القالي (٣٥٦ هـ) كتاب عيون الأخبار، وكتاب أدب الكاتب . كما قرأ عليه الآمدي أبو القاسم (٣٧٠ هـ) كتب أبيه كلها .

كما قرأ على أبي جعفر أحمـد أيضا : أبو الفتح محمـد بن جعفر المراغي ، وأبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي، شارح خطبة أدب الكاتب .

ويذكر البغدادي في كتابه « تاريخ بغـداد »[1] ابنًا لأبي جعفر أحمد، اسمه : عبـد الواحد ، فيقول : يكنى عبـد الواحد : أبا أحمـد . ذكر أنه ولد ببغداد في سـنة سبعين ومائتين . وانتقل إلى مصر فسكنها وروى بها عن أبيه ، عن جدّه، كتبه .

(٢) أحمـد بن مروان المـالكي (٢٩٨ هـ) . وممـا رواه عن ابن قتيبة : كتاب : تأويل مختلف الحديث . وقد انتهى إلينا بروايته .

(٣) أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان (٣٠٩ هـ) .

---

(١) تاريخ بغداد (١١ : ٨) .

(٤) أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ (٣١٣ هـ) . وقد روى عن ابن قتيبة كل مصنفاته .

(٥) أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السكرى (٣٢٣هـ) . وقد سمع عنه : غريب الحديث، وإصلاح الغلط سنة (٢٦٨ هـ) .

وقد انتهى إلينا بروايته عنه كتاب : المسائل والأجوبة، وإصلاح الغلط .

(٦) أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمى (٣٣٤ هـ) .

(٧) الهيثم بن كليب الشاشى (٣٣٥هـ) وقد أخذ عنه الأدب خاصة .

(٨) قاسم بن أصبغ الأندلسى (٣٤٠هـ) الذى كانت رحلتـه إلى المشرق (سنة ٢٧٤ هـ) . وقد قرأ عليه : المعارف، وشرح غريب الحديث .

(٩) عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوى (٣٣٥ هـ) . وقد انتهى إلينا من روايته عنه : كتاب الأشربة .

(١٠) أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد الأزدى (٣٤٨ هـ) .

(١٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدينورى . وقد قرأ عليه : تأويل مختلف الحديث .

(١٢) أبو عبد الله بن أبى الأسود (٣٤٣ هـ) .

(١٣) أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيبانى البغدادى (٢٩٨ هـ) .

مؤلفاته :

وبعد الحديث عن شيوخ ابن قتيبة وعن تلاميذه — وهم كما رأيت كثرة هنا وهناك، مما يدلك على رغبة منه فى الأخذ عن غيره، ورغبة إليه فى الأخذ عنه —

نتقل بك إلى الحديث عن مؤلفاته، وسوف نرجئ الحديث عن كتابه « المعارف » لنفرده وحده بكلمة خاصة، بعد الفراغ من الحديث عن « ابن قتيبة » .

(١) غريب القرآن :

هكذا ذكره ابن خلكان ، والخطيب ، والداودى ، والسيوطى، وابن كثير، وابن الأنبارى، والقفطى، وابن العماد الحنبلى، وحاجى خليفة .

ومنه نسخة فى الخزانة الظاهرية بدمشق . رقمها ٣٣ لغة .

غير أن المجلة السلفية[١] عرضت لوصف نسخة أخرى منه فى مكتبة المرحوم الشيخ عثمان القارئ بالطائف، وهى تحمل مع العنوان السالف زيادة، وهو فيها « كتاب غريب تفسير القرآن » . والعنوان الأول بنهج المؤلف فى وضع أسماء كتبه أوفق وأنسب .

فمن قبل « غريب القرآن » ألف كتابه « مشكل القرآن »[٢] والعنوانان يكاد أولهما يلى الآخر . هذا إلى أن ابن قتيبة يقول فى كتابه : مشكل القرآن (ص ٢٥) : وأفردت للغريب كتابا كى لا يطول هذا الكتاب — يعنى : مشكل القرآن .

فهو بهذه العبارة قد سمى كتابه بما لا يحتمل تلك الزيادة التى تحملها نسخة الطائف .

غير أن «ابن قتيبة» يعود فيقول فى مقدمته لكتابه «غريب القرآن» : «ثم نبتدئ فى تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله ، إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتابا جامعا كافيا بحمد الله »[٣] .

(١) المجلد الثانى ص ٨

(٢) طبعة « دار إحياء الكتب العربية » بتحقيق الأستاذ سيد صقر .

(٣) طبعة « دار إحياء الكتب العربية » بتحقيق الأستاذ سيد صقر

ويقول ابن قتيبة فى كتابه «الأنواء» : وهذا قد بينت فساده فى كتابى المؤلف فى تأويل مشكل القرآن[1] » .

فيحمل هـذا بعض المتصلين بأعمال « ابن قتيبة » على أن يضيف إلى اسمى الكتابين هاتين الزيادتين . ومخطوطة « المشكل » تحمل فى صفحتها الأولى هـذه العبارة : «الجزء الاول من مشكل القرآن» وتحمل فى صفحتها الأخيرة هذه العبارة : « ثم كتاب مشكل القرآن » .

ولم يحمل كتاب «غريب القرآن» المطبوع صفحات مصدرة من مخطوطتيه ، تدلنا على ما دلتنا عليه الصفحات المخطوطة من كتاب « مشكل القرآن » .

(٢) مشكل القرآن :

وهـذا الكتاب كما قدمت لك ، طبعته كما طبعت ماقبـله دار إحياء الكتب العربية ، بتحقيق الأستاذ سيد صقر .

وقد جمع بين هذين الكتابين أبو عبـد الله محمد بن أحمـد بن مطرف الكنانى (٣٥٤ هـ) فى كتاب أسماه : « القرطين » ينقص منها ويزيد .

وغير هذا فلأبى القاسم العكبرى عبد الله بن محمد (٥١٦ هـ) كتاب حول كتاب «مشكل القرآن» «أسماه : الانتصار لحمزة فيما نسبه إليه ابن قتيبة فى مشكل القرآن» ذكره صاحب كشف الظنون .

واسم كتاب العكبرى — كما ترى — يوحى بأن ثمّ مآخذ يحصيها « العكبرى » على ابن قتيبة ، وأن هذه المآخذ تشين ابن قتيبة فى ادعائه على « حمزة » أشياء .

---

(١) ص ٩ من مخطوطة الخزانة الزكية .

(٣) معانى القرآن :

ذكره السيوطى فى : « البغية » والداودى فى « طبقات المفسرين » وعياض فى ترجمة ابنه « أحمد » . أعنى : أباجعفر أحمد بن عبد الله بن قتيبة ، وقال : قرأه عليه قاسم بن أصبغ (٣٥٠ هـ) .

وأكاد أشك أن هذا كتاب جديد، وأنه شيء آخر غير كتابيه السابقين — مشكل القرآن، وغريبه — ويكاد يكون هو «غريب القرآن» فالغريب كشف عن المعانى والمعانى إيضاح للغريب ، والغرض من الاسمين واحد . فبعيد أن يكون معهما كتابان .

(٤) القراءات :

ذكره ابن النديم فى «الفهرست» ، كما ذكره المؤلف فى كتابه «مشكل القرآن» (ص ٤٥) حيث يقول : «وستراه كله فى كتابنا المؤلف فى وجوه القراءات» .

ولا ندرى هل الكلمة الأولى المزيدة على لسان ابن قتيبة جزء من العنوان ، أم هى لون من ألوان التفسير لموضوع الكتاب ؟

(٥) إعراب القراءات :

هكذا سماه ابن خلكان ، والقفطى . ويذكره ابن النديم ، والسيوطى ، والداودى باسم «إعراب القرآن» . وتكاد نرجح ما ذهب إليه ابن النديم ، والسيوطى ، والداودى . فلو أن «ابن قتيبة» أراد ما ذكره ابن خلكان ، والقفطى ، لاتسع له كتابه السابق « القراءات » أو « وجوه القراءات » .

(٦) الرد على القائل بخلق القرآن :

ذكره السيوطى فى «البغية» ، والداودى فى «طبقات المفسرين» .

(٧) آداب القراءة .

ذكره صاحب كشف الظنون ، ولا ندرى أين وقع عليه .

(٨) غريب الحديث :

ذكره ابن النـديم ، وابن خلكان ، والخطيب ، والداودى ، والسـيوطى ، وابن كثير ، وابن الأنبارى ، والقفطى ، وابن العماد .

ومن الكتاب قطعـة تنتظم الثلث الأول والثلث الأخير . تحتفظ بهـا الخزانة الظاهرية بدمشق[١] .

يقول صاحب كشف الظنون : « حذا فيه حذو أبى عبيد القاسم بن سلام ، فجاء كتاب ابن قتيبة مثـل كتابه أو أكبر . وقال فى مقدمته : أرجو ألا يكون بق بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال » .

(٩) إصلاح غلط أبى عبيدة :

ذكره بهذا الاسم : الداودى ، والسيوطى .

وذكره ابن النديم بأسم : إصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث .

وذكره ابن خلكان ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفيـة ، وابن العماد باسم : إصلاح الغلط .

وقد ذكر حاجى خليفه أن عليه شرحا لأبى المظفر محمد بن آدم بن كمال الهروى (٤١٤ هـ) . وقد استدرك فيه ابن قتيبة على أبى عبيدة فى نيف وخمسين موضعا .

---

(١) رقم ٣٤ ، ٣٥ لغة .

(١٠) مشكل الحديث :

ذكره ابن خلكان ، والخطيب ، والسمعانى ، وابن الأنبارى ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، وابن العماد .

ويذكر ابن النديم كتابا لابن قتيبة بإسم «المشكل» . ولا ندرى أهو : مشكل الحديث هذا ، أم هو مشكل القرآن ؟ وأغلب الظن أن ابن قتيبة إذا ذكر «المشكل» ولم يضف إليه أراد : مشكل القرآن .

ثم يستطرد ابن النديم ويذكر كتابين آخرين فى هذا الغرض وهما :

(١) مختلف الحديث .

(٢) اختلاف تأويل الحديث .

ويذكره الداودى ، والسيوطى ، بإسم : مختلف الحديث .

ويورده حاجى خليفة بإسم : اختلاف الحديث ، وبإسم : كتاب المناقضة .

وبدار الكتب المصرية نسخة منه [1] بإسم : الرد على من قال بتناقض الحديث .

ويسميها مفهرس دار الكتب بإسم : المشـتبه من الحديث والقرآن ، وذكر الأحاديث التى قيل بتناقضها .

ويذكره « جورجى زيدان » فى تاريخ الآداب العربية [2] بإسم : المشـتبه من الحديث والقرآن .

وقد ظهر هذا الكتاب مطبوعا بالقاهرة (١٣٢٦ هـ) . بإسم : تأويل مختلف الحديث .

وظاهر أن هذه الأسماء كلها لكتاب واحد .

---

(١) رقم ع ٢٠٠ مجاميع م .

(٢) ٢ : ١٧١ .

(١١) المسائل والأجوبة :

ذكره الداودى ، والسيوطى ، بهذا الاسم .

وذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والقفطى، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، بأسم : المسائل والجوابات .

ومنه نسخة بدار الكتب المصرية[1] ، وعنوانها : كتاب المسائل .

وقد طبع فى مصر (١٣٤٩ هـ) يحمل عنوانا : المسائل والأجوبة فى الحديث واللغـــة .

ولعل هــذه الإضافة اجتهاد من الناشر، إذ موضوع الكتاب أســئلة وجهت إلى ابن قتيبة فى الحديث واللغة، فأجاب عنها .

(١٢) دلائل النبوّة :

ذكره ابن النديم، والداودى، والسيوطى، وحاجى خليفة، بهذا الاسم .

وذكره ابن الأنبـارى بأسم : دلائل النبوّة من الكتب المـنزلة على الأنبيـاء عليهم السلام .

ويسميه القاضى عياض فى « المدارك » : أعلام النبوّة .

وبالخزانة التيمورية بالقاهرة كتاب لابن قتيبة باسم : معجزات النبى صلى الله عليه وسلم .

وبهذا الاسم ذكره أبو الطيب اللغوى فى كتابه « مراتب النحويين » .

---

(١) ٦ لغه ش .

(١٣) جامع الفقه :

ذكره ابن النديم فى « الفهرست » .

وذكره القفطى باسم : كتاب الفقه .

ويذكر ابن النديم، وابن خلكان، والقفطى، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية، وحاجى خليفة، كتابا له آخر فى هذا الموضوع باسم « كتاب التفقيه » .

ويقول عنه ابن النـديم : رأيت منه ثلاثة أجزاء نحـو ستمائة ورقة، وكانت تنقص على التقـريب جزوين . وسألت عن هـذا الكتاب جماعة من أهـل الخط فزعموا أنه موجود .

وهو أكبر من كتب البندنيجى وأحسن منها .

وظاهر أن الاسمين لكتاب واحد .

(١٤) كتاب الأشربة :

ذكره ابن النديم، وابن خلكان، والقفطى، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية، وابن العماد، وحاجى خليفة .

وأشار إليه المؤلف فى كتابه الميسر والقداح [١] .

ونقل عنه ابن عبد ربه فى كتابه « العقد الفريد [٢] » فى أكثر موضع .

ونشر أكثره المستشرق أرثوركى فى مجلة « المقتبس [٣] » .

وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد كرد على سنة (١٩٤٧ م) .

---

(١) الميسر والقداح طبعة السلفية (ص ٤٣)

(٢) ٢٣٥، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٢ (طبعة لجنة التأليف) .

(٣) المجلد الثانى (٢٣٤ — ٢٤٨، ٣٨٧ — ٣٩٥، ٤٣٠، ٤٣٦، ٥٢٩، ٥٣) .

(١٥) الرد على المشبهة :

ذكره ابن النديم، والداودى، والسيوطى، والقفطى .

وظاهر أنه هو هذا الكتاب الذى طبع فى مطبعة السعادة سنة (١٣٤٩ هـ) بتحقيق المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثرى، باسم : كتاب الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة .

(١٦) أدب الكاتب :

ذكره ابن النديم، وابن خلكان، والسمعانى، والطيب فى « قلادة النحر »، وابن كثير، والقفطى، وابن العماد الحنبلى، بهذا الاسم .

وذكره الخطيب، وابن الأنبارى، باسم : أدب الكتاب .

ويزكى هذه التسمية اسم الشرح الذى وضعه ابن السيد البطليوسى (٤٢١ هـ) عليه وسماه : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب .

وقد تعرض له بالشرح غير « ابن السيد » كثيرون، منهم : الجواليقى (٥٣٩ هـ)، والجذامى (٨ ص ٥ هـ)، وإسحاق بن إبراهيم الفارابى (٣٥٠ هـ) .

كما شرح بعضهم خطبته . مثل : الزجاجى (٣٥٠ هـ)، وابن فاخر النحوى (٣٣٨ هـ) .

وقد طبع الكتاب مرات فى مصر وغير مصر .

(١٧) عيون الشعر :

ذكره ابن النديم . وقال : إنه يحتوى على عشرة كتب، وذكر سبعة منها، وهى :

كتاب المراتب — كتاب القلائد — كتاب المحاسن — كتاب المشاهد — كتاب الشواهد — كتاب الجواهر — كتاب المراكب .

ثم ذكر ابن النـديم كتابا آخر لابن قتيبـة أسماه : المراتب والمنـاقب من عيون الشعر .

وظاهر أنه كتاب من هذا الكتاب « عيون الشعر » .

(١٨) كتاب المعانى الـكبير :

ذكره ابن النديم باسم : معانى الشعر الكبير . وذكر أنه يحتوى على اثنى عشر كتابا، وهى :

(١) كتاب الفرس — ستة عشر بابا .
(٢) كتاب الإبل — ستة عشر بابا .
(٣) كتاب الحرب — عشرة أبواب .
(٤) كتاب القدور — عشرون بابا .
(٥) كتاب الديار — عشرة أبواب .
(٦) كتاب الرياح — أحد وثلاثون بابا .
(٧) كتاب السباع والوحوش — سبعة عشر بابا .
(٨) كتاب الهوام — أربعة عشر بابا .
(٩) كتاب الإيمـان والدواهى — سبعة أبواب .
(١٠) كتاب النساء والغزل — باب واحد .
(١١) كتاب الشيب والكبر — ثمـانية أبواب .
(١٢) كتاب تصحيف العلماء — باب واحد .

وقد أشار إليه ابن قتيبة فى كتابه «عيون الأخبار»[1]، حيث يقول: وقد فسرت هذا الشعر فى كتابى المؤلف فى أبيات المعانى فى خلق الفرس .

(١) ١ : ١٥٨

وما أشار إليه موجود فى المعانى[1] .

وفى خزانة أيا صوفيا الجزء الأول من كتاب باسم : المعانى لأبن قتيبة وهـذا الجزء فى الخيل[2] .

وفى خزانة المكتب الهندسى بلندن الجزء الثانى منه، وأوله : باب الذباب .

وقد طبع ماوجد من هذا الكتاب فى الهند (سنة ١٣٦٨هـ) فى ثلاثة مجلدات .

والكتاب الثانى عشر من كتاب المعانى ، وهو « تصحيف العلماء » لا يزال مفقودا .

وقد ألف ابن المرزبان عبد الله بن جعفر بن درستويه (٣٤٧هـ) فى الرد عليه كتابا أسماه : الرد على ابن قتيبة فى تصحيف العلماء .

(١٩) ديوان الكتاب :

ذكره ابن النديم، والسيوطى، وحاجى خليفة .

وأظن أنه كتاب من أحد كتابين : المعانى، أو عيون الشعر، فعنوانه لا يوحى بأنه شىء مستقل — بل هو باب من كتاب .

(٢٠) تقويم اللسان :

ذكره حاجى خليفة .

وذكرته دار الكتب المصرية فى فهرسها على أنه الجزء الثانى من كتاب بهـذا الاسم لأبن قتيبة[3]، وليس إلا كتابا من كتاب أدب الكاتب، الذى ينتظم أربعة كتب : كتاب المعرفة — كتاب تقويم اليد — كتاب تقويم اللسان — كتاب الأبنية .

(١) ١ : ١١٠ — ١١٢ طبعة الهند . (٢) رقم ٤٠٥٠ (٣) لغة ٣٣٠

(٢١) خلق الإنسان :

ذكره — ابن النديم ، والداودى ، والسيوطى ، وحاجى خليفة .

(٢٢) كتاب الخيـــل :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والداودى ، والسيوطى ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، بهذا الاسم .

وذكره حاجى خليفة باسم : كتاب الحيل ، بالحاء المهملة والياء المثناة .

(٢٣) كتاب الأنواء :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والداودى ، والسيوطى ، والسمعانى ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، وحاجى خليفة .

وذكره ابن قتيبة فى كتابه « المعانى »[1] ومنه مخطوطه بالخزانة الزكية .

(٢٤) جامع النحو الكبير :

ذكره ابن النديم «والداودى» ، والسيوطى ، والقفطى ، وحاجى خليفة .

(٢٥) جامع النحو الصغير :

ذكره ابن النديم ، والداودى ، والسيوطى ، والقفطى ، وحاجى خليفة .

(٢٦) الميسر والقداح :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، وحاجى خليفة .

(١) ١ : ٣٧٥ — ٣٧٨

وذكره المـؤلف فى كتابه « الأنواء[1] » حيث يقـول : « وقـد بينت هذا فى كتاب الميسر » .

وقد طبع هـذا الكتاب بالمطبعـة السلفية سـنة ١٣٤٢ هـ بتحقيق الأسـتاذ محب الدين الخطيب .

(٢٧) فضل العرب على العجم :

ذكره ابن قتيبـة فى كتابه « عيون الأخبار » حيث يقول : « وقـد أفردت للشعراء كتابا ، وللشعر بابا طويلا فى كتاب العرب[2] » .

ونقل عنه ابن عبد ربه فى « العقد الفريد[3] » .

ونشرت قطعة منه فى « رسائل البلغاء[4] » .

ونشر بعضه فى « مجلة المقتبس[5] » .

وبدار الكتب المصرية نسخة منه فى جزءين تنقص من الأول ورقات ، كتب فى أول الجزء الثانى منها : « فضل العرب على العجم » ، كما كتب فى ختام الجزء الأول منهـا : « تم كتاب العرب وعلومها » .

ولعل ضياع الصفحة الأولى منه ممـا جرّ إلى هذا الاضطراب فى اسم الكتاب ، فسـمى مرّة : « فضل العرب على العجم » ، وأخرى : « فضل العرب والتنبيه على علومها » ، وثالثة : « كتاب العرب وعلومها » .

(١) ص ١٠ مخطوطة الخزانة الزكية .

(٢) عيون الأخبار (٢ : ١٨٥) .

(٣) (٢ : ٨٨) طبعة بلاق

(٤) (ص ٢٧٩ — ٢٩٥) طبعة سنة ١٣٣١ هـ .

(٥) المجلد الرابع ٦٥٧ — ٦٦٨ ، ٧٢١ — ٧٣٥ .

ولا يبعد أن يكون كتاب « التسوية بين العـرب والعجم » ، الذى ذكره ابن النديم ، والقفطى ، على أنه كتاب آخر، هو هذا الكتاب باسم جديد .

(٢٨) عيون الأخبار :

ذكره ابن النديم ، وابن خلكان ، والخطيب البغدادى ، والسمعانى ، وابن كثير، وابن الأنبارى، والقفطى ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، وابن العماد . وقد طبعته دار الكتب المصرية سنة (١٣٤٣ هـ) .

(٢٩) طبقات الشعراء :

ذكره ابن خلكان ، والداودى ، والسـيوطى ، والقفطى ، وابن العماد ، بهـذا الاسم .

وذكره « ابن النديم » باسم : « الشعر والشعراء » .

وقد طبع الكتاب للمرة الأولى فى ليدن سنة (١٨٧٥ م) ، ثم أعيد طبعه فيها سنة (١٩٠٤ م) ، ثم طبع للمرة الأخيرة فى مصر بتحقيق المرحوم الأستاذ أحمد محمد شاكر سنة (١٣٦٦ هـ) .

(٣٠) الحكاية والمحكى :

ذكره ابن النديم .

(٣١) فرائد الدر :

ذكره ابن النديم .

(٣٢) حكم الأمثال :

ذكره ابن النديم .

(٣٣) آداب العشرة :

ذكره ابن النديم .

(٣٤) كتاب العلم :

ذكره ابن النـديم ، والقفطى ، بهذا الاسم . وقال ابن النـديم : إنه فى نحو خمسين ورقة .

ثم ذكره الداودى ، والسيوطى ، باسم : « كتاب القلم » .

(٣٥) تعبير الرؤيا :

ذكره ابن النديم ، وأبو الطيب اللغوى ، بهذا الاسم .

وذكره ابن قتيبة فى مقدمة « عيون الأخبار » باسم : « تأويل الرؤيا » .

(٣٦) الجوابات الحاضرة :

ذكره الداودى ، والسيوطى ، وحاجى خليفة .

(٣٧) الجراثيم :

لم يذكره أحد لابن قتيبة .

وفى الخزانة الظاهرية بدمشق منه نسخة منسوبة إلى ابن قتيبة[1] ، غير أن هذا الأمر يحتاج إلى شىء من الدرس .

* * *

وإنهم ليعدون لابن قتيبة أسماء لكتب أخرى ، وأكثر الظن أنها ليست كتبا مستقلة ، بل إنها أبواب من كتب ، نحو هذا الذى يذكرونه له من أن له ، كتابا

(١) رقمها ٥٩ لغة .

اسمه « استماع الغناء بالألحان »، معتمدين على ما ذكره حاجى خليفة فى حرف السين حيث يقول : « والعلماء اختلفوا فى استماع الغناء بالألحـان، وهى مسألة طويلة الذيل ، خصها كثير من المتقدمين بالتصنيف، كالقاضى أبى الطيب، والعـلامة أبى محمد بن قتيبة .

فمـا نشك فى أن ابن قتيبة كتب فى هذا الموضوع، ولكن الذى نشك فيه أن يكون له كتاب بهذا الاسم .

وقد أشرنا قبلُ إلى شيء من هذا التكرار، مثل كتاب « الفرس » الذى ذكره القفطى، وهو من معانى الشعر، وكتاب « تقويم اللسان » الذى ذكره حاجى خليفة وهو من « أدب الكاتب » ، وكتاب « المراتب والمناقب » الذى ذكره ابن النديم وهو من « عيون الشعر » ، وكتاب « الأبنية » الذى ذكره القاضى عياض ، وهو من « أدب الكاتب » .

ولعل الدافع الذى دفع هؤلاء إلى هذا التوسع فى الجمع شيء من الجهل بمحتويات كتب ابن قتيبة، وذلك لأنهم عرفوا أكثرها بالسماع .

وشيء آخر، هـو ما قرءوه وسمعـوه من بعض المؤرخين ، مثـل صاحب « التحديث بمناقب أهـل الحديث » حين يذكر أن كتب ابن قتيبـة زهاء ثلثمائة كتاب ، فيدفعهم هذا إلى التصيد والتحايل .

وما أشك فى أن الذى قصد إليـه صاحب « التحديث » هو هـذه الأبواب التى احتوت عليها كتب ابن قتيبة ، يعدّ كل باب كتابا ، وإلا اتهمناه بمـا برئ منه كل متصل بالعلم والتأليف .

وما أميلنا إلى أن نأخذ بما سبق فى «المدارك» ، حين تحدّث عن أبى جعفر أحمد ، وأنه كان يحفظ مصنفات أبيه ، وعدّتها أحد وعشرون مصنفا ، وما هذا العدد بقليل على عالم من العلماء، عُمر مثل ما عمر آبن قتيبة ، لاسيما والمؤلفات من المؤلفات ذات الأجزاء .

* * *

بقى بعد هذا كتاب شاعت نسـبته إلى آبن قتيبة ، وليس له ، وهو : كتاب الإمامة والسياسـة .

والأدلة على بطلان نسبة هذا الكتاب إلى آبن قتيبة كثيرة، منها :

(١) أن الذين ترجمـوا لأبن قتيبـة لم يذكروا هـذا الكتاب بين ما ذكروه له . اللهم إلا القاضى أبا عبـد الله التوزى المعروف بآبن الشباط . فقد نقـل عنه فى الفصل الثانى من الباب الرابع والثلاثين من كتابه «صلة السمط» .

(٢) أن الكتاب يذكر أن مؤلفـه كان بدمشق، وآبن قتيبة لم يخرج من بغـداد الا إلى الدينـور .

(٣) أن الكتاب يروى عن أبى ليلى، وأبو ليلى كان قاضياً بالكوفة سنة (١٤٨ هـ) أى قبل مولد آبن قتيبة بخمس وستين سنة .

(٤) أن المؤلف نقل خبر فتح الأندلس عن آمرأة شهدته . وفتح الأندلس كان قبل مولد آبن قتيبة بنحو مائة وعشرين سنة .

(٥) أن مؤلف الكتاب يذكر فتح موسى بن نصير لمراكش، مع أن هذه المدينة شيدها يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين سنة ٤٥٥ هـ ، وآبن قتيبة توفى سنة (٢٧٦ هـ) .

كما نسبت إليه أيضا وصية إلى ولده، نشرها الدكتور إسحاق موسى الحسينى فى مجلة الجامعة الأمريكية ببيروت، عن مجموعة خطية محفوظة بمكتبة تلك الجامعة. وإن أسلوبها ليكاد يوحى بأنها لغير ابن قتيبة .

* * *

وما من شك فى أن النظر فى كتب ابن قتيبة، واستقصائها ثم استصفائها، لموضوعٌ جدير بأن يفُرد له بحث مستقل ، وما هو بالقليل .

غير أن الذى يعنينا بمـا سقناه من مؤلفات ابن قتيبـة هو أن ندال لك، على أن تلك البيئة التى بسطنا لك أمرها ، شـغلت ابن قتيبة بهـا ولم يكد يفلته ركن لم يشارك فيه .

شارك فى محنـة خلق القرآن وكان له فيها رأى، وشارك فى فتنـة المشبهة والمجسمة ، وكان له فيها رأى ؛ وشارك فى الخلاف النحوى بين البصرة والكوفة، وجعل بينهما مدرسة ثالثة فى بغداد، وكان هو زعيمها؛ وشارك فى تفضيل العرب على العجم، حين رأى الشعوبية تزداد وتنتشر . ورأى العصر عصر إلمـام ومشاركة فى كل العلوم فكان إماما من هؤلاء الأئمة المشاركين .

* * *

ولكنّا قبل أن نمضى إلى كتاب « المعارف » نفرده بكلمة مستقلة، نسوق إليك جملة من رأى العلماء عن ابن قتيبة .

أما عن عقيدته فقـد وثقه فيها قوم واتهمه فيها آخرون، يجعله « ابن تيمية » لأهل السنّة مثل الجاحظ لأهل المعتزلة[1] .

(١) تفسير سورة الإخلاص (٩٥) .

ويقول فيــه الحافظ السلفى (٥٧٦ هـ) : «كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السـنّة» .

ويقول الخطيب البغدادى : «وكان — يعنى ابن قتيبة — ثقة دينا فاضلا» .

ويقول ابن حزم أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (٤٥٦ هـ) : «كان ابن قتيبة ثقة فى دينـه وعلمه» .

ويقول الحافظ الذهبى فى «ميزان الاعتدال» : «أبو محمد صاحب التصانيف، صدوق قليل الرواية .

ويقول فى «تذكرة الحفاظ» : «ابن قتيبة من أوعية العلم، لكنه قليل العمل فى الحـــديث» .

ويقول ابن الجوزى : «كان عالمـا فاضلا» .

ويقول ابن خلكان : «كان فاضلا ثقة» .

ويقول مسلم بن قاسم : «كان ابن قتيبة صدوقا من أهل السنّة» .

وغير هؤلاء من العلماء يتهمونه ويقولون فيه غير ما يقول هؤلاء .

يقـول الدارقطنى أبو الحسن على بن عمر بن أحمـد بن مهدى (٣٨٥ هـ) : «كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه، منحرفا عن العترة، وكلامه يدل عليه» .

ويقول البيهقى أبو بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨ هـ) : «كان ابن قتيبة يرى رأى الكرامية . وليس بين المشبهة والكرامية كبير فرق . فالكرامية هم أتباع محمد بن كرام . وكان يذهب إلى التجسيم والتشبيه، وينعى على «علىّ» صبره على ما جرى لعثمان» .

*
* *

ولقد نسى هؤلاء أن هـذا المتهم بالتشبيه له كتاب فى الرد على المشبهة ، وأن له فى هذا الكتاب عبارات تدل على ميله إلى « على » وآله[1] ، ونسوا أيضا أن له كتابا فى تفضيل العرب . ولكن كيف لهؤلاء المتهمين يتهمونه دون دليل ؟

فى الحق إن لابن قتيبة من الكلام فى كتبه ما يثير شيئا من الريبة ، اقرأ له قوله فى كتابه « مشكل القرآن »[2] : « وكان أصحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ورضى عنهم ، وهم مصابيح الأرض ، وقادة الأنام ومنتهى العلم ، إنمـا يقرأ الرجل فيهم السورتين والثلاث والأربع ، والبعض والشطر من القرآن ، إلا نفرا منهم وفقهم الله لجمعـه وسهل عليهم حفظه . قال الشعبى : توفى أبو بكر وعمر وعلى رحمهم الله ولم يجمعوا القرآن . وقال : لم يختمه أحد من الخلفاء غير عثمان . وروى عن شريك عن إسماعيل بن أبى خالد أنه قال : سمعت الشـعبى يحلف بالله عز وجل : لقـد دخل « على » حفرته وما حفظ القرآن » .

نظن أن هـذا من كلام ابن قتيبة هو الذى أثار تلك الثائرة حوله ، فانبرى له من انبرى يتهمونه .

اسمع لأبى الحسين أحمـد بن فارس (٣٩٥ هـ) يقول فى كتابه « الصاحبى »[3] تعقيبا على هذا الذى ذكره ابن قتيبة : « وابن قتيبة يطلق إطلاقات منكرة ، ويروى أشـياء مشنعة ، كالذى رواه عن الشعبى أن أبا بكر وعمر وعلياً توفوا ولم يجمعوا القرآن ، وأن عليا دخل حفرته وما حفظ القرآن . وهذا كلام شنع جدا » .

---

(١) الرد على الجهمية والمشبهة (ص ٤٧) . (٢) ص ١٨١

(٣) ص ١٧٠

* * *

وآبن قتيبة الذي ينقل هـذا راويا ، يذكر غيره مدافعا عن أهل البيت ، ممـا يعبر عن رأيه ومعتقده ، وفرق بين أن يزل العالم وهو يروى لينصف التاريخ ، وبين أن يزل وهو يفصح عما يعتقد . فآبن قتيبة إن زلّ راويا فلم يزل معتقدا .

آسمع إليه وهو يقول فى كتابه « الرد على الجهمية »[1] : « وجعلوا آبنـه الحسين عليه السلام خارجيًّا شاقًّا لعصا المسلمين حلال الدم . وسوّوا بينه فى الفضل وبين أهل الشورى ... فإن قال قائل ... : أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم على . وأبو سبطيه الحسن والحسين وأصحاب الكساء : علىّ وفاطمة والحسن والحسين . تمعرت الوجوه وتنكرت العيون » .

فهذا القول ممـا ينصف آبن قتيبة لا شك ، وليس فى الأولى عليه حرج .

* * *

وأما عن علمه ، فلم يعدم « آبن قتيبة » فيه الطاعن إلى جانب المنصف :

أما عن الذين أنصفوه هنا ، فيكادون يكونون هم الذين أنصفوه هناك ، عند الحديث عن معتقده ، وتكاد تكون كلماتهم هناك هى كلماتهم هنا .

وأما عن الذين آتهموه فى علمه ، فإنا نجدهم نفرا آخرين ، ولعل أقدم من أنكر على آبن قتيبة علمه ، هو آبن الأنبارى (٣٢٨هـ) . نجد ذلك على لسان آبن تيمية حين يقول[2] : « وآبن الأنبارى من أكثر الناس كلاما فى معانى الآى المتشابهات ، يذكر فيها من الأقوال ما لم ينقل عن أحد من السلف ، ويحتج لمـا يقوله فى القرآن بالشاذ من اللغة » . وقصده بذلك الإنكار على آبن قتيبة .

(١) ص ٤٧ (٢) تفسير سورة الإخلاص (٩٥) .

ومن بعد ابن الأنبارى : أبو الطيب (٣٥١ هـ)، إذ يقول فى كتابه مراتب النحويين [1] : « وكان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى أخذ عن أبى حاتم والرياشى وعبد الرحمن بن أخى الأصمعى .

وقد أخذ ابن دريد عن هؤلاء كلهم وعن الأشنانداني، إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات . وكان يشرع فى أشياء لا يقوم بها، نحو تعرضه لتأليف كتابه فى النحو، وكتابه فى تعبير الرؤيا، وكتابه فى معجزات النبى صلى الله عليــه وسلم وعلى آله، وعيون الأخبار، والمعارف، والشعراء، ونحو ذلك ممـا أزرى به عند العلماء وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له » .

وغير ابن الأنبـارى وأبى الطيب نجد : الحاكم أبا عبد الله محمد النيسابورى (٤٠٥ هـ) الذى يقول : « أجمعت الأمة على أن القتيبى كذاب » .

كما نجد « ابن تغريبردى » [2] يروى (٨٧٤ هـ) « وكان ابن قتيبة خبيث اللسان يقع فى حق كبار العلماء » .

* * *

وكلام الذين تنقصوا ابن قتيبة كله لا يخـرج عن هذين الشقين، شق فيـه المآخذ العلمية، وشق معه السب والتشهير .

وما نشك فى أن هــذه الرغبة الطامحة من ابن قتيبة، التى دفعته إلى أن ينزل فى ميادين مختلفة، حمّلته تبعات لم يستطع أن ينهض بها كلها على سواء، وربمـا اضطرته إلى شىء من الجمع الذى يفقد الإنسان معه التحرى والتثبت، وهذا ممـا مكن لخصوم الشق الثانى من أن يتهموه بالكذب ونحوه .

* * *

(١) مراتب النحويين (ص ١٣٧) . (٢) النجوم الزاهرة (٣ : ٧٥) .

٣ — كتاب المعـارف

هذا كتاب من كتب ابن قتيبة المعروفة ، ذكرته له جمهرة كبيرة من المؤرخين الذين ترجموا له ، وما فى نهج المترجمين أن يذكروا الكتب كلها ، وإنما هم يقفون عند ما يصلهم علمه ، أو يقفون له على أثر . وفى إجماع جملة منهم على شيء دليل على ذيوعه ، ثم دليل على قدر هذا الشيء ، إن صح هذا الظن .

وكتاب « المعارف » هذا : ذكره له ابن النديم (٣٨٥ هـ) فى « الفهرست » والخطيب البغدادى (٤٦٣ هـ) فى كتابه «تاريخ بغداد» ، والسمعانى (٥٦٢ هـ) فى كتابه « الأنساب » ، وابن الانبارى (٥٧٧هـ) فى كتابه « نزهة الألبا » ، والقفطى (٦٤٦ هـ) فى كتابه « إنباه الرواة » ، وابن خلكان (٦٨١ هـ) فى كتابه « وفيات الأعيان » ، وابن كثير (٧٧٤ هـ) فى كتابه « البداية والنهاية » ، وصاحب طبقات فقهاء السادة الحنفية ، والطيب (٥٩٢ هـ) فى كتابه «قلادة النحر فى وفيات أعيـان الدهر» ، وابن العماد (١٠٣٢ هـ) فى كتابه « شـذرات الذهب » ، وحاجى خليفـة فى كتابه « كشف الظنون » .

كلهم مجمع على أن اسمه « المعارف » . يزيد عليهم حاجى خليفة فيقول : «المعارف فى التاريخ» ولهذه الزيادة صدى ، فقديما نسب بعض الناس إلى ابن قتيبة كتابا فى التاريخ .

يقول المسعودى[1] ، وينقل عنه هذا حاجى خليفة وهو يتحدث عن تاريخ لأبى حنيفة الدينورى ٢٨٢ هـ[2] . « قال المسعودى : هو كبير ، أخذ ابن قتيبة ما ذكر وجعله عن نفسه » .

(١) مروج الذهب (٢ : ٤٤٢) . (٢) كشف الظنون (١ : ٢٨) .

وجاء فهرست الخزانة الظاهرية بدمشق يؤكد هذا، فقد ذكر (برقم ٨٠ تاريخ) كتابا باسم : تاريخ ابن قتيبة .

وظل النـاس فى شك من هـذا حتى أتيحت فرصة للأستاذ إسحاق الحسينى ، وهو يضع بحثه، أن يرى النسخة ويدرسها، فيتضح له أنها كتاب المعارف نفسه[1] .

ولعل سابقا قرأها فعرف أنها شيء فى التاريخ، وأنها لابن قتيبة، فعنونها بهذا الاسم .

* * *

ولعل ابن قتيبة أول من سمى كتابا بهذا الاسم — أعنى : المعارف — فما نعلمه لمتقدم سبق ابن قتيبة، ولكنا نعلمه لمتأخرين جاءوا بعده، فأبو الفتح ناصر بن محمد (٤٤٤ هـ) له كتاب بهذا الاسم ، وللغزالى أبى حامد محمـد بن محمـد (٥٠٥ هـ) كتاب : المعارف الفعلية، ولمحمد بن عبد الملك الهمدانى (٥٢١ هـ) أيضا كتاب : المعارف فى التاريخ[2] ، ولأبى الغنائم سعيد بن سليمان الكوفى (٦١٦ هـ) كتاب اسمه : معارف القلوب بذكر كشف الغيوب . وللإمام النقشبندى أحمـد بن عبد الأحد (١٠٣٤ هـ) كتاب اسمه : المعارف الدينية .

* * *

والقصد من هذه التسمية ألوان مختلفة من المعرفة، وضمها بعضها إلى بعض، قد تتسق ويصل بعضها ببعض رابط ما، وقد تختلف وحسبها أن اسم المعارف يجمعها .

غير أن ابن قتيبة، وإن كان السابق فى ابتداع هذا الاسم وجعله عنوانا للكتاب، فقد كان مسبوقا فى هـذا اللون من التأليف ، فلوكيع القاضى محمد بن خلف كتاب

(١) The life and works of Ibn Kutayba P. 63.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان .

الشريف ، يجرى « المعارف » لابن قتيبة مجراه.[1] ووكيع من شيوخ ابن قتيبة ، حدث عنه وروى فى كتابه « عيون الأخبار » فى أكثر من موضع[2] :

ولمحمد بن حبيب البغدادى (٢٤٥ هـ) كتاب اسمه : المحبّر ، يكاد تتفق كثرة من أبوابه مع أبواب كتاب « المعارف » وإن اختلفا فى السرد . حتى لقد قيل : إن ابن قتيبة نقل كتابه « المعـارف » منه . ففى مقدمة « الفاخر » للمفضـل ابن سلمة : « عن أحمد بن عبيد الله بن أحمد قال : أملى علينا أبو بكر محمد بن يحيي الصولى رحمه الله هذا الكتاب . وكان سبب إملائه إياه علينـا أن رجلا ممن كان يحضر مجلسه ، يحضر مجلس أبى بكر محمـد بن القاسم الأنبارى . رحمه الله . فرأى يوما فى يده كتابا ، فأخذه يقـرؤه ، فوجده مجلدا من كتاب الزاهر[3] ، فقال : هـذا منقول من كتاب الفاخر للفضل بن سلمة ، كما نقل أبو محمد بن قتيبة كتابه المعارف من كتاب المحبر لابن حبيب » .

ونجد مؤلفا معاصرا — هو ابن رسته أبو على أحمد بن عمر — قد ضمن كتابه «الأعلاق النفيسة» جملة من الأبواب التى انتظمها كتاب «المعارف» ، فتحدث عن :

الأوائل ، والأشراف ، وأهل العاهات ، وأسماء المعلمين ، ومن توالوا فى نسق واحد .

يكاد يكون المكتوب هنا هو المكتوب هناك ، مع اتفاق فى المنقول عنهم .

وكما حاكى ابنُ قتيبة غيره ونقل عنـه — إن صح هـذا — حُوكى ابن قتيبة فى كتابه « المعـارف » واحتُذى حذوه . فابن الجـوزى (٥٩٧ هـ) كان فى كتابه «تلقيح فهوم الأثرة فى التاريخ والسيرة» مصطنعا نهج ابن قتيبة فى كتابه «المعارف» وجاريا فيه على أسلوبه .

(١) الفهرست لابن النديم (١١٤) .

(٢) عيون الأخبار (١ : ٢٦٥ ؛ ٢ : ٢٠ ، ٢٦ ؛ ٣ : ٢١ ، ١٥٨ ، ٣١٦) .

(٣) الزاهر ، فى معانى الكلام ، لابن الأنبارى ، المتوفى ٥٧٧ هـ .

يقول حاجى خليفة، وهو يعرّف بهـذا الكتاب — أعنى كتاب تلقيح فهوم الأثرة — وهو كتاب على أسلوب المعارف لابن قتيبة.[1]

تأريخ تأليف الكتاب :

ونكاد نفيد من هذه الظنون حول كتاب «المعارف» — من أن ابن قتيبة فيه ناقل عن ابن حبيب (٢٤٥ هـ) وأبى حنيفة الدينورى (٢٨٢ هـ) — أن الكتاب ألف ابن قتيبة بأخرة، وابن قتيبة وهو يؤرخ للخلفاء انتهى إلى ولاية المعتمد على الله محمد بن جعفر (٢٥٦ هـ) ووقف عندها ولم يزد. ولو أن المعتمد كان قصير الأجل، وأدركته منيته وابن قتيبة حىّ، لسجل هذا ابن قتيبة، وأفدنا من هذا — لو كان وقع — شيئا جديدا يحدد انتهاء ابن قتيبة منه على وجه التقريب.

ولو أن ابن قتيبة أهـدى هذا الكتاب، كما أهدى أدب الكاتب لأبى الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، لأفدنا منه : متى بدأ ابن قتيبة به.

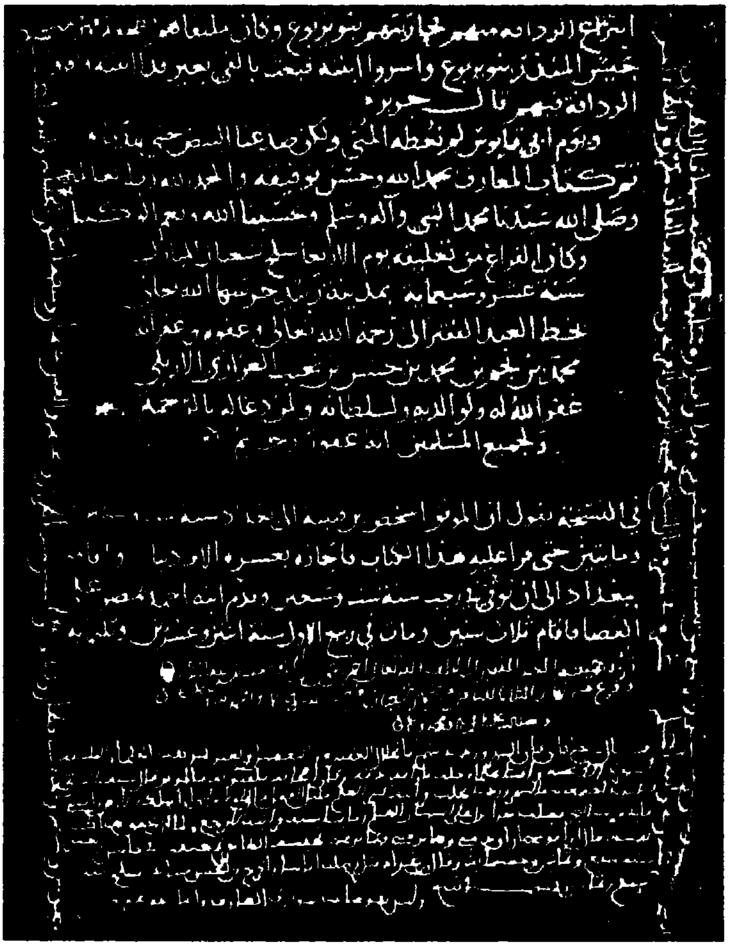
ولكنا نرى «الموفق» يُشخص ابن قتيبة إلى بغداد سنة ست وستين ومائتين، فيقرأ عليه هذا الكتاب — أعنى المعارف — ثم يجيزه بعشرة آلاف دينار[2].

وأنت تعرف أن الموفق بالله طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم لم يَلِ الخلافة اسما، ولكنه وليها عمـلا، فلقد عاش إلى جانب أخيه المعتمد على الله، منذ ولى الخلافة سنة ٢٥٦ هـ، يدير هو شؤون الخلافة ويسوس الأمور عن أخيه، الذى لم يكن له من الأمر شيء.

(١) كشف الظنون (١ : ٤٨ — ٤٨١).

(٢) اللوحة رقم ١ — وهى الصفحة الأخيرة من نسخة : ل.

إذن فآبن قتيبة ، حين قصد « الموفق » مستجيبا لدعوته ، كان قـد فرغ من الكتاب ، وكان الكتاب قد أخذ مكانه فى سوق التأليف ، شاع آسمه وعرف قدره . وأغلب الظن أن ظهوره وشيوع آسمه لم يكن قبل هذا التاريخ بكثير . فما نظن « الموفق » أبطأ كثيرا ، وما نظنه فاته أن يدعو إليه آبن قتيبة بعد ظهور الكتاب بأمد طويل .



اللوحة الأخيرة من مخطوطة « ل »

ونكاد نجزم أن هذا العام — نعني عام ٢٦٦ هـ — كان العام الذي نفض ابن قتيبة يده من الكتاب، وأخذ يقرؤه على الناس و يقرؤه الناس عليه. فالمعروف عن الموفق أنه كان أديبا عالما بالأنساب ، والمعروف عنه أنه كان الخليفة الفعلي على حين كان المعتمد الخليفة الأسمى ، والمعروف أن الخلفاء كانوا أسبق الناس إلى تلق هذه الكتب الجديدة وتلق أصحابها .

نخلص من هذا إلى أن ابن قتيبة لم يكن قد وضع كتابه، أو لم يكن بدأ ينتهي منه، عند ما تولى المعتمد الخلافة سنة ٢٥٦ هـ . وأن ذلك امتد به أعواما بعد ولاية المعتمد، وأنه انتهى من كتابه عام ست وستين ومائتين، وما كاد يفرغ منه حتى دعاه إليه «الموفق» ينتفع بما فيه .

غير أنا أخيرا نجد شيئا يلفتنا في كتاب « المحبر » ، وهو أن ابن حبيب حين أرخ للخلفاء انتهى إلى المعتضد . و « المعتضد » ولى سنة تسع وسبعين ومائتين .

ونجد في نهاية هذا : « قال أبو سعيد السكرى : أخبرنى محمد بن سعيد بذلك كله » .

السكرى الذي روى الكتاب عن ابن حبيب مات سنة ٢٧٥ هـ .

وإنا نثير هذه لأنا نجد مثلها في كتاب « المعارف » ، فعلى حين يذكر ابن قتيبة في مقدمته أنه سينتهى إلى المستعين بالله، حيث يقول : «ثم الخلفاء، من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى أحمد بن محمد بن المعتصم المستعين بالله»(1) . نجد في الكتاب بعد ذلك — عند ذكر الخلفاء — ذكرا لثلاثة بعد المستعين بالله، وهم : المعتز بالله، ومحمد المهتدى، والمعتمد على الله .

(1) المعارف (٦) .

تنتهى الزيادة فى « المعارف » إلى المعتمد .

وتنتهى الزيادة فى «المحبر» إلى المعتضد، بزيادة خليفة على ما فى «المعارف» .
فهذا اتفاق أو شـبه اتفاق اجتمع الكتابان عليـه . وهو فى الأوّل ليس من وضع آبن حبيب ، ولكنه فى الثانية قد يكون من وضع آبن قتيبة ، وقد يكون من وضع غيره .

فإذا كان هذا من وضع آبن قتيبة انتهينا إلى رأى جديد يلقى ضوءا على وضع الكتاب، وهو أن آبن قتيبة وضع كتابه أيام المستعين (٢٤٨ هـ — ٢٥٢ هـ) .

و بقى الكتاب بين يدى آبن قتيبة حتى أدرك به أيام: المعتز، فالمهتدى، فالمعتمد على الله (٢٥٦ هـ) ثم مات آبن قتيبة وترك المعتمد على الله فى الحكم ، فقد كانت وفاة المعتمد على الله سنة ٢٧٩ هـ . وكانت وفاة ابن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ .

و إذا كان من وضع غيره كان الكتاب مفروضا منـه أيام المسـتعين (٢٤٨ هـ — ٢٥٢ هـ) و يكون لنـا مع الموفق رأى آخر . وهو، و إن لم نعرف سنة ميلاده على التحديد، فهى على التقريب حوالى سنة ٢٣٢ هـ ، لأنه كان أصغر من أخيه المعتمد، الذى كان ميلاده سنة ٢٢٩ هـ . وهو فى تلك الفترة — أى أيام المستعين — كان حدثا ، ثم لم يكن ذا جاه ، وهو لم يبلغ هذا الجاه إلا أيام أخيه الموفق . وحين بلغه استطاع أن يدعو إليه آبن قتيبة ، و يقرأ عليه كتاب «المعارف» .

*
* *

ولكن لمَ اختار الموفق هذا الكتاب دون غيره، وهو ليس جديدا، ولآبن قتيبة غيره ؟

والجواب على هذا يسـير : فلقد كان « الموفق » معنيا بالأنساب ، والكتاب جانب كبير منه فى الأنساب .

ثم لم أبطأ الموفق عشر سنين ، فقد كان شريكا لأخيه فى الحكم منذ ولى — أى سنة ٢٥٦ هـ ؟ وعلى هذه لا نملك غير أن نقول — إن كان لابد أن نقول — إنه قضاها فى الحرب ضد الطامعين فى أخيه (١) .

كتاب المعارف وكتاب المحبر :

وما نملك « كتاب الشريف » لوكيع ، الذى أشار إليه ابن النديم ، كما لا نملك تاريخ أبى حنيفة ، الذى أشار إليـه المسعودى ، ولكنّا نملك كتاب « المحـبر » لابن حبيب ، الذى يقال إن ابن قتيبة نقل منه . ونحب أن نضم إلى هذا شيئا آخر ، وهو أن ابن حبيب كان له قبـل المحبر كتاب اسمه « المنمق » يكاد يضم أبواب « المحبر » أو أكثرها (٢) .

نقول هـذا لنضع بين يديك كتابين فى غرض واحد تقريبا ، يتفق وغرض ابن قتيبة فى كتابه « المعـارف » يصح أن يكون النقل منهما معـا ، أو النقل من أحدهما مع الاستئناس بالآخر .

والآن فلننظر بين نهج ونهج ، نهج « المحبر » ونهج « المعارف » .

فالمحبر يحدث عن :

١ — المدد التى بين الأنبياء عليهم السلام .

٢ — أعمار الأنبياء .

٣ — ذكر تاريخ العرب .

٤ — مولد النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الكامل لابن الأثير (فى حوادث سنة ٢٧٨ هـ) .

(٢) المحبر (٥١١) .

٥ — تسمية من أقام الحج .

٦ — أسماء الخلفاء الراشدين .

٧ — « الخلفاء الأمويين .

٨ — « الخلفاء العباسيين ... الخ .

وهكذا كتاب « المعارف » يحدث عن هذا كله مع تلوين فى العناوين ومخالفة فى الترتيب .

ولكن قد يقال : هـذا تاريخ لم يملكه ابن حبيب وإنما جمعه ، وكما جمعه ابن حبيب جمعه ابن قتيبة .

ولكن يقال : ما بال ابن قتيبة لم يخالف « ابن حبيب » فيقصد قصدا آخر ، ويسوق مادته مساقا جديدا ؟ .

من الإنصاف لابن قتيبة أن تذكر أنه لم يسق الموضوعات سوق ابن حبيب بدءا وانتهاء وطريقة ، ولكنه خالف فى الكثير ، وهو يسوق الحوادث ؛ فضم حيث فرق ابن حبيب ، وأوجز حيث أطال ابن حبيب ، ثم كان له بعد هذا وذاك نهج فى المساق يجمع ما عند ابن حبيب فى المحبر ، ولكنه يجرى على نسق آخر .

ثم من الإنصاف لابن حبيب أن نذكر أن ابن قتيبة يكاد يكون قد جعل « المحبر » معتمده فى الكثير من نقله .

ومن الإنصاف لابن قتيبة أن نذكر أنه فى هذا القليل الذى ترك فيه « المحبر » نقل نقولا ليست فى « المحبر » .

ومن الإنصاف لابن قتيبة أن نذكر أنه حدث فى كتابه «المعارف» عن شيوخ له ذكر أسماءهم ، يعزو لهم ما يروى عنهم .

كتاب المعارف :

وبعد فكتاب المعارف موسوعة تتصف بالتنسيق ، مختارة أحسن الاختيار ، مبوّبة أجمل التبويب . تذكر الأنساب المتشعبة المتفرعة فى إيجاز مستوعب ، وتلخص التاريخ تلخيصا من غير إخلال ، وتسوق الطرف والملح والنوادر على نهـج محبب شائق ، لا يفلت منها شيء ذو خطر دون أن تشير إليـه وتفصله ، مع إشارة إلى بعض المراجع فيها قصد ، وكنا نحب أن يكون فيها إسراف . وهذا مما يعاب على ابن قتيبة وغيره من المؤرخين ، يذكرون الخبر بسنده ، ويحرصون على هذا السند ، ولو كان حرصهم على ذكر المراجع مقرونا بهذا الحرص لأدت أمثال هذه الموسوعات نفعها على وجه أوسع وأعم . ولكن لكل عصر أسلوب ، وهكذا كان أسـلوب المتقدمين ، ومنهم ابن قتيبة .

وقد جمعت هـذه الموسوعة — أعنى كتاب المعـارف — كل ما يعنى الناس أن يعرفوه عن أسـلافهم من أخبار ، وما ينقل لهم من حديث . والكتاب لاشك لون من ألوان الثقافات فى ذلك العصر ، يدلك بمـا فيه على ما كان يحرص الناس أن يعرفوه .

وهـو لا يزال مَرجعا ذا بال يُعتمد عليـه ويُرجع إليه ، يُسعِف حين تعـوز المُطوّلات ، ويُغنى حين لا يُحتاج إلى تفصيل .

وقد جمعه ابن قتيبة للناس فأحسن جمعه ، وإن كان فاته — وهو الذى ألّف فى الشعر كتابه الجامع : الشعر والشعراء — أن يذكر أسماء الشعراء مع ما يروى لهم

من شعر، فتراه فى بعض المواطن يذكر الشعر دون أن ينسبه إلى صاحبه، ومنـه الشعر المشهور المعروف، كأن يذكر بيتا لحسّان ويقول: قال آخر: ويذكر لغير حسان أبياتا ولا يعزوها لأصحابها.

ترى هل نتهم ابن قتيبة كما اتهمه غيرنا فنقول: إنه عدا على كتب غيره فالتهمها وكتب ما كتبوا؟.

أو نقول: إنه لم يعنِّ نفسه بشىء من الاستقصاء، حين لا يعوز إلا خفيف الاستقصاء.

ولكنا نغتفر له هذه وأمثالها مع زحمة التأليف وكثرة التصنيف، وإن كان ما نعتذر به له يُملى غيره، فالعِلم الواسع يصحّح بعضه بعضا، ويفسر ظاهره غامضه.

*
* *

وبعد، تُرى ما اسم الكتاب؟.

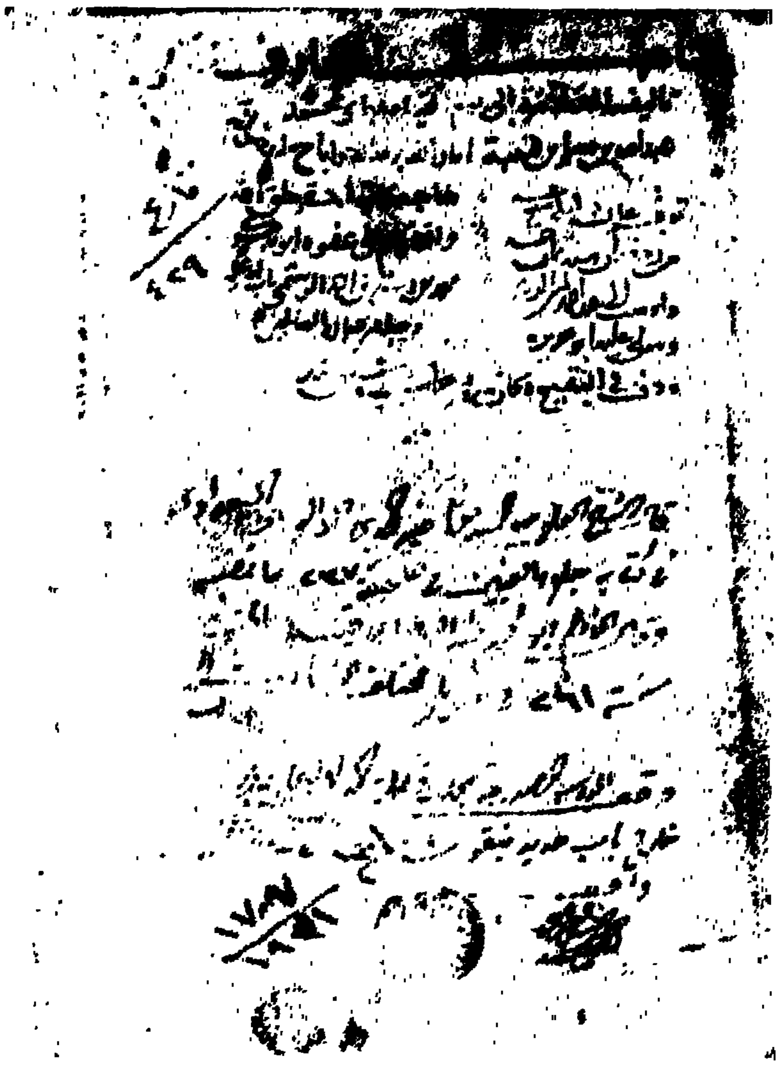
يكاد يكون إجماعا بين المؤرخين لابن قتيبة والذاكرى كتبه أن اسم الكتاب «المعارف» معرّفا. وعلى هذه النسخ الخطية كلها لانستثنى منها إلا المخطوطة التى رمزنا إليها بالحرف (هـ) فتذكره دون تعريف فتقول «معارف ابن قتيبة»(1).

ثم يكاد إجماعا بين هؤلاء المؤرخين حين يذكرون الكتاب كلمةً مفردة لا يزيدون عليها شيئا، لا نستثنى منهم إلا حاجى خليفة حين يقول: المعارف فى التاريخ.

(1) انظر اللوحات التالية.



اللوحة الأولى من المخطوطة « ب »



اللوحة الأولى من المخطوطة « م »

وعلى هذا الإجماع جميع المخطوطات التى بين أيدينا لا نستثنى منها إلا المخطوطة التى رمزنا إليها بالحرف (و) فتقول : كتاب المعارف فى أخبار العرب وأنسابهم[1] .

ولو عُدنا إلى كتب ابن قتيبة نستقرئ أسماءها نجد أنها كلها لا تحمل زيادات مفسرة أو شارحة . وهـذا ما يجعلنا نميل إلى أن هـذه الزيادة أو تلك جاءت من وضع واضع ، إما تأثرا برأى من قال إن ابن قتيبة حذا حذو أبى حنيفة فى تاريخه ، ومن هنـا جاءت زيادة حاجى خليفـة ؛ وإما تأثرا بالأبواب الأولى من الكتاب ، فجاءت إضافة تلك الخطية .

ولكنا لا نخلص من هذا حتى نواجه شيئا جديدا ، فنجد المخطوطة التى رمزنا إليها بالحرف (ل) تحمل هذا العنوان « كتاب عوارف المعارف[2] » . ولا نعرف كتابا بهذا الاسم إلا للسّهروردى أبى حفص عمر (٦٣٢ هـ) .

وكأن قارئا للنسخة ذكر اسمه فى هذه الصفحة الأخيرة وهو — أحمد بن عمر ابن أبى بكر — وكان ذلك سـنة (٧٤٣ هـ) — لفتـه هذا العنوان ، وذكر أنه للسهروردى ، ورجع إلى ابن خلكان (٦٨١ هـ) يتلمس ترجمته ، فإذا هو يقع على ترجمـة لسهروردى آخر ، فيورد منها شيئا نقـلا عن ابن خلكان ، ويختمها بهـذه العبارة : « وليس هو صاحب عوارف المعارف وإنمـا هو غيره » .

فهذا النقل يفيدنا شيئا لاشك ، هو ماذكرناه من تقبُّل هذا القارئ اسم الكتاب على غير يقين وتثبت ، ولكنه لم يقض فيه برأى ، وترك مانقل للقارئين بعده يصور لهم تردده ، ويترك لهم بقية الحكم .

---

(١) انظر الصفحة الأولى من المخطوطة (و) .

(٢) انظر الصفحة الأولى من المخطوطة (ل) .



الصفحة الأولى — مخطوطة « ل »

والظريف أن هذه الخطية التى حملت هذا العنوان الجديد تختم الكتاب بهذه العبارة : « تم كتاب المعارف بحمد الله ... الخ » [1] .

(١) انظر الصفحة الأخيرة من المخطوطة (د) .

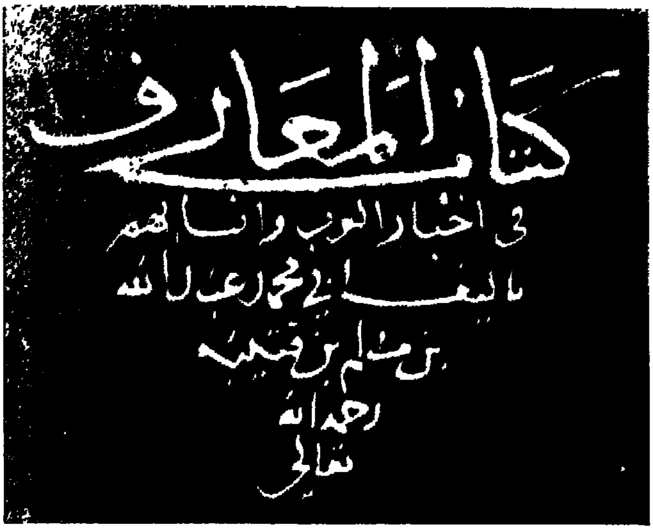


كتاب ...

عبد الله بن مسلم بن قتيبة

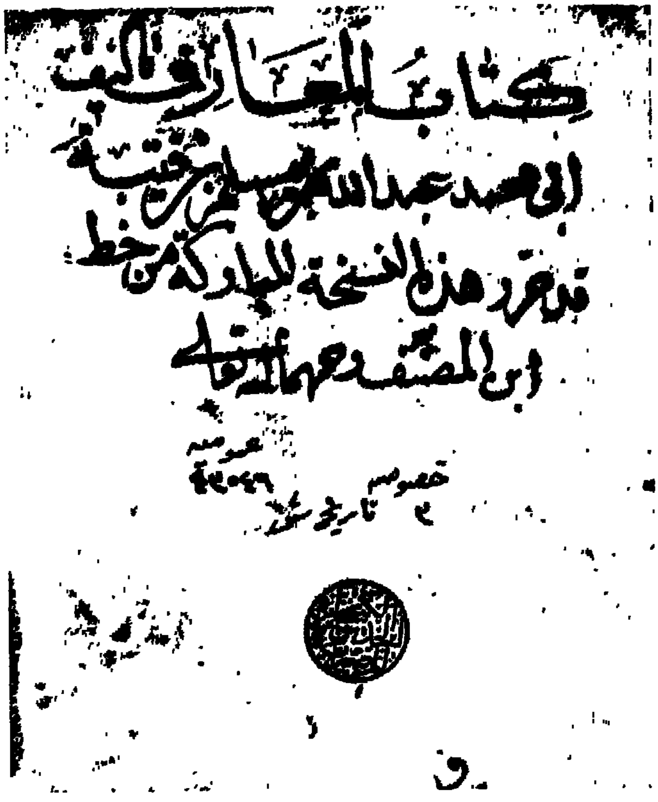
رحمة الله عليه

اللوحة الأولى من المخطوطة « ط »



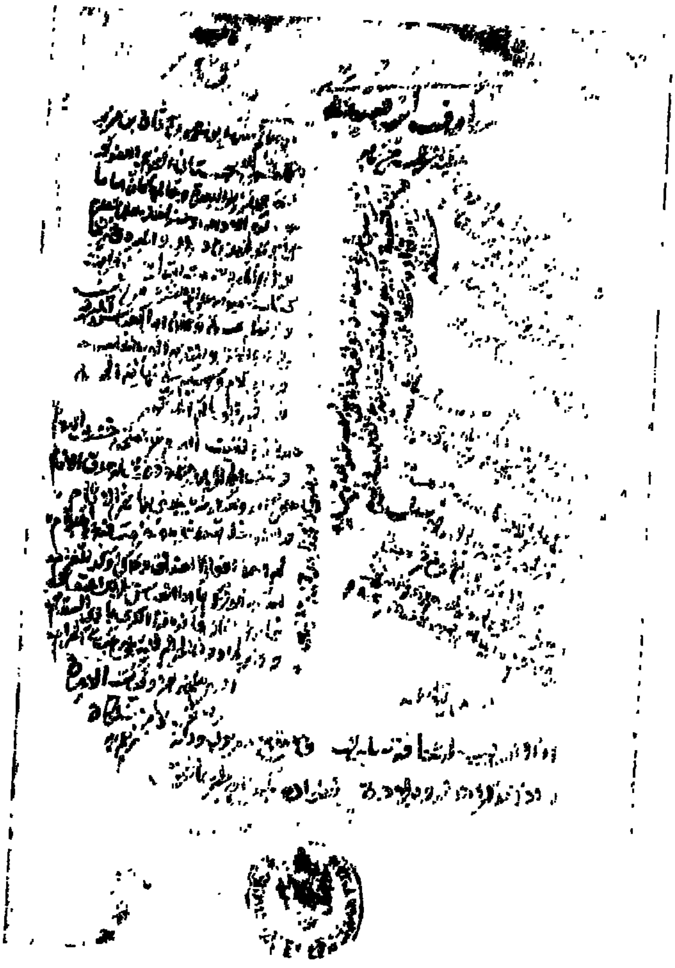
كتاب المعارف
في اخبار العرب وانسابهم
تاليف ابي محمد عبد الله
بن مسلم بن قتيبة
رحمه الله
تعالى

اللوحة الأولى من المخطوطة « هـ »



كتاب المعارف تأليف
ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
قد حرر هذه النسخة المباركة من خط
ابن المصنف رحمهما الله تعالى

اللوحة الأولى من المخطوطة (ق)



اللوحة الأولى من المخطوطة « و »

* * *

ولقد كان الفراغ من كتابة هذه النسخة سنة عشر وسبعمائة . وكانت قراءة هذا القارئ ـــ الذى هو أحمد بن عمر ـــ سنة (٧٤٣ هـ) كما قدمنا، أى كان بين نسخها وقراءته لها نحو من ثلاثين عاما .

وعبارات التمليك التى على الصفحة الأولى التى بها العنوان هى بين سنتى (٩٩٩هـ) وسنة (١٠٢٣ هـ) .

ترى هـل دُسّت الصـفحة الأولى على الكتاب ، ويكاد خطها بما فيه من مغايرة قليلة يملى شيئا من هذا؟ ولكن تلك الزيادة التى زادها هـذا القارئ بخطه، والتى تتصل بعنوان الكتاب، تدفع هـذا وتجعل الصفحة الأولى من الكتاب ومن تلك المخطوطة منذ نشأتها .

إذن فالكتاب كان يحمل اسما آخر، وأن هذا الاسم يرجع إلى أوائل القرن الثامن الهجرى . أى بعد وفاة المؤلف بنحو من أربعمائة سنة .

ولكنّا لا نملك دليلا على أنها سبقت تسمية « السهروردى » وإلا لتغير موقفنا من اسم الكتاب، وكان لهذه التسمية الجديدة وضع آخر .

ونكاد نميـل إلى أن هذه التسمية جاءت متأخرة أى بعـد « السهروردى » وكانت تسمية « السهروردى » جديدة قد شاعت ، وتسمية ابن قتيبـة قديمة قد اختفت، وكان بين التسميتين نوع من المشاركة، فغلبت تسمية السهروردى .

وكانت النسخة لا تحمل عنوانا فحمّلها الكاتب هذا العنوان من عنده، ولم يفطن لمـا جاء فى ختامها من التسمية الصحيحة، وكانت هذه التسمية الجديدة .

حول تحقيق الكتاب :

وقد طبع هذا الكتاب طبعتين الأولى فى « جوتنجن » سبتمبر سنة (١٨٥٠ م) بعناية المستشرق «إف وستنفيلد» والثانية فى القاهرة سنة (١٣٥٣ هـ— ١٩٣٤ م) فرغ لقراءتها الأستاذ محمد الصاوى، وقد انتهى إلى الثلث الأول، ثم مضى الأستاذ عثمان خليل يقرأ ما بقى .

وقد أشار الأستاذ وستنفيلد فى مقدمته الألمـانية القصيرة التى صدر بها الكتاب إلى النسخ التى رجع إليها ، فإذا أهمها ثلاث ، نسخة فى فينا ، وأخرى فى جوتا ، وثالثة فى ليدن .

واجتزأ وستنفيلد بثبت يقع فى نحـو الصفحتين جعله مع الفهرست البدائى، أثبت فيه الخلاف بين هــذه الأصول .

وعلى الرغم من الجهد المشكور الذى حمله الأستاذ وستنفيلد فى تحقيق الكتاب فإنه جاء ينقصه أشياء كثيرة .

هذا إلى أن الكتاب كانت لا تزال له أصول أخرى خطية، تزيد فيه وتصحح مواضع منه، لم يرجع إليها الأستاذ .

وقد رجع الأستاذان « الصاوى ، وعثمان خليل » إلى طبعة الأستاذ وستنفيلد معتمدين عليهـا ، وعلى نســخة خطية فى دار الكتب المصرية . ذكراها دون أن يعرفا بها .

وما قدما للكتاب بشىء ، وإن كان قد ذيلاه بفهرست يضم موضوعاته .

وتكاد تكون هــذه الطبعة صورة من طبعة وستنفيلد ، إلا فى القليـل الذى اعتمد فيه الأستاذان على اجتهادهما .

الأصول الخطية للكتاب :

وقد جهدت فى أن أجمع لهـذا الكتاب أصـوله الخطية ما وسعنى الجهـد ، لا أستثنى تلك المخطوطات التى اعتمد عليها وستنفيلد ، فإذا بين يدى منها :

١ : ب — خطية كتبها يوحنا بن يوسف بمدينة مرسيليا نقـلا عن أصل آخر لم يذكره إلا أنه قال : « المتضرع إلى من يقرأ هذا الكتاب، و إلى من يطلع على ما يحويه من الخطأ ألا ينسب إليه ما يجده من الغلط والتحريف، لأن جميع ذلك موجود فى الأصـل المنقول . والظاهر أن كاتبـه جاهل قليل العـلم فالتزم محـرر الأحرف أن ينقل ممـا وجد و يثبت ممـا عاين، لأنه ما وقع على نسخة ثانية » (١) .

فهو قد كفانا بكلمته هذه أن يدل على ما فى النسخة من خطأ وتحريف . غير أنه فاته أن يشير إلى شىء آخر له خطره ، دخل على النسخة فأضعف الثقة بها .

ففى النسخة نُقول من كتب أخرى مختلفة متأخرة ، كانت لا شك أولاً أشبه شىء بالتحشية والتعليق ، فإذا هى على مر الأيام تكون فى متن الكتاب .

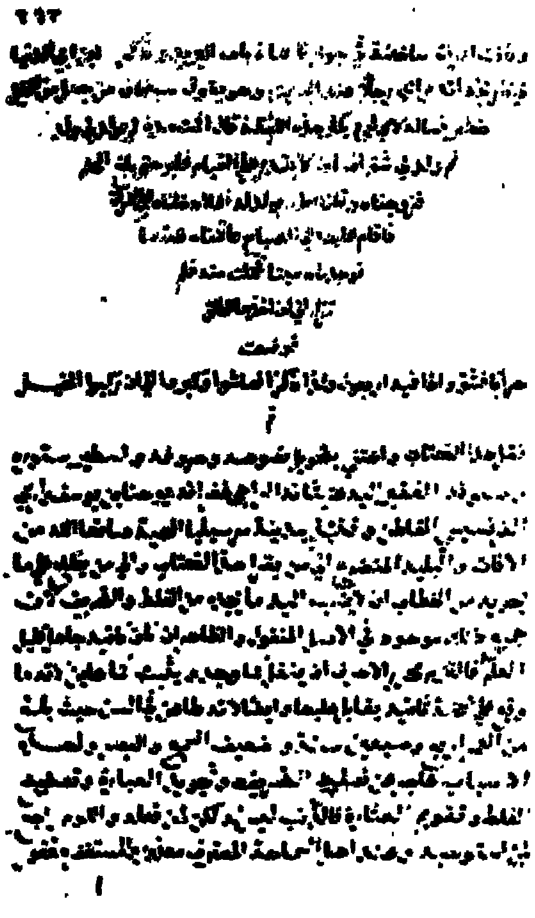
ففى الكتاب نُقول عن ابن الجوزى ، والنووى ، والبلوى ، وابن سيد الناس ، ونُقول عن غيره من المتأخرين أشرنا إليها فى أماكنها من الكتاب ، دُست على الكتاب على أنهـا منه .

ولهذا كانت جناية هذه النسخة على كتاب «المعارف» كبيرة ، فقد دَست عليه هذا وغيره من عناوين مصطنعة ، وأدعية ، واستطرادات تحتاج إلى رويّة و بصر لتمييزها .

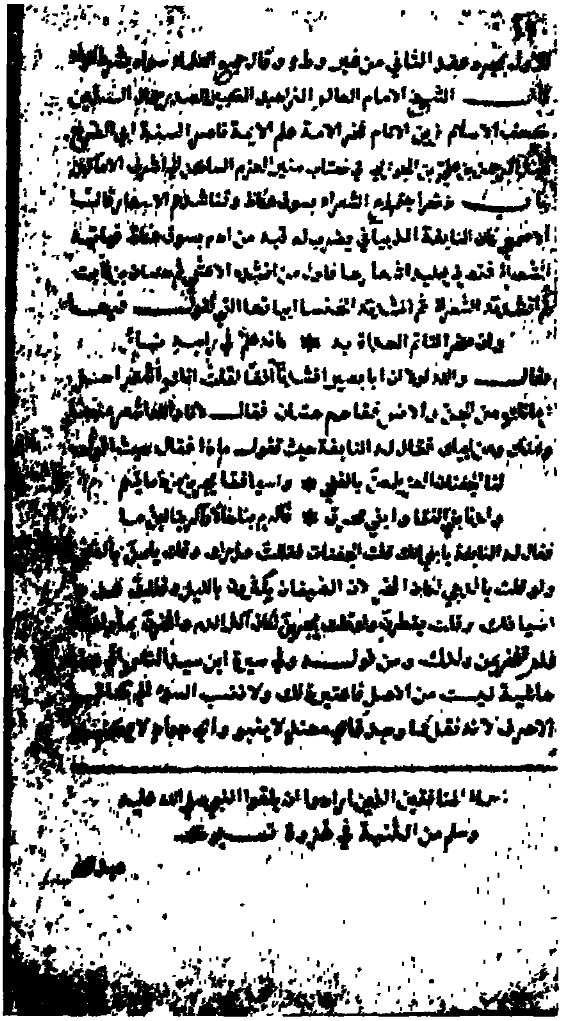
والمخطوطة متأخرة النسخ فقد كتبت فى سنة ١٢٦٥ هـ بخط بين النسخ والرقعة ، وهو واضح فى جملته ، وهى من مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس ، ورقمها ١٤٦٥ (٢)

(١) ص ١٩٧ من المخطوطة ب .

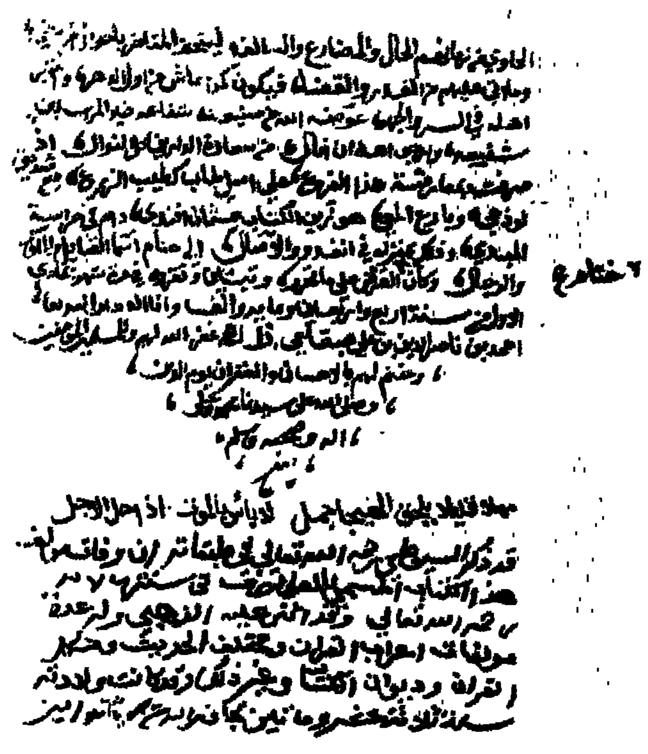
(٢) انظر ص ١٩٠ من المخطوطة ب .



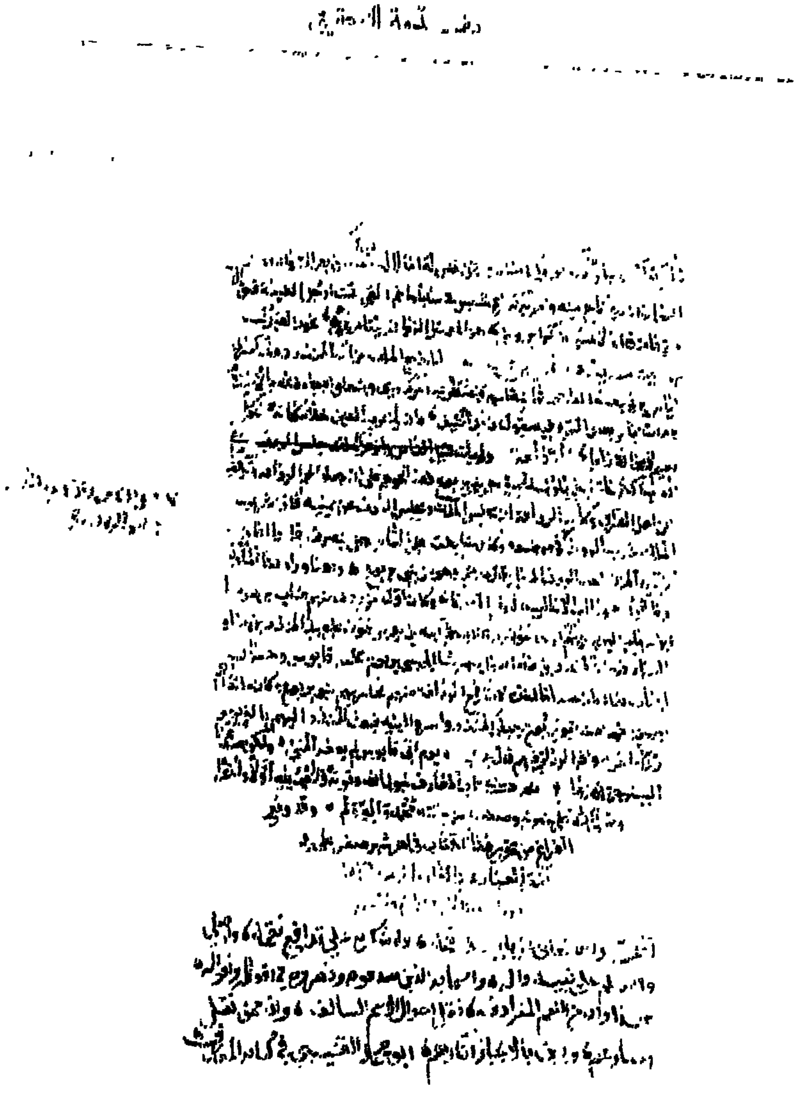
الورقة ١٩٧ من المخطوطة « ب »



ص ١٩٠ — من المخطوطة « ب »



اللوحة الأخيرة من المخطوطة « و »



اللوحة الأخيرة من المخطوطة « هـ »

٢ : ط — وهى من مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس، رقمها (٤٨٣٣) .
وهى نسخة رديئة الخط ، مليئة بالحواشى والتعليقات ، مهملة التاريخ ، مجهولة الكاتب .

وهى من غير شك الأصل الذى نقل منه «يوحنا بن يوسف» كاتب النسخة الأولى التى رمزنا إليها بالحرف « ب » .

فهـذه أصل والنسخة الأولى فرع . ليس بينهما من فروق جوهرية ، ولكنا نجد هنا كلمات غمضت على الناسخ، فلم يستطع قراءتها ووجهها كما رأى .
ومن هنا جاءت الخلافات بين النسختين[1] .

٣ : ق — وهى إحدى مخطوطتى دار الكتب المصرية ، ورقمها ٣ تاريخ ، من وقف المرحوم محمد بن محمود بن التلاميذ الشنقيطى .

مكتوبة بالخط النسخ القريب من التجويد ، واضحة الحروف ، ناطقة الكلمات ، تكاد تكون أصح أصل وأسلمه . على هامشها بعض التصحيحات ، ولعلها من تصحيحات الواقف ، وبأولها هذه العبارة : «وقد حرر هذه النسخة المباركة من خط ابن المصنف رحمهما الله تعالى[2] » .
وبآخرها ما يفيد أن نسخها تم سنة (١١٦٠) على يد كاتبها أحمد بن يونس[3] .

٤ : ل — وهى من مخطوطات المتحف البريطانى بلندن . وهى النسخة التى عرفناها من قبل، على أنها تحمل عنوانا مخالفا لإجماع النسخ .

وقد أشرنا إلى أنها قديمة خطها لا بأس به . وهى تحمل فى حواشيها كثيرا من الحواشى التى جاءت فى : ب، ط[4] .

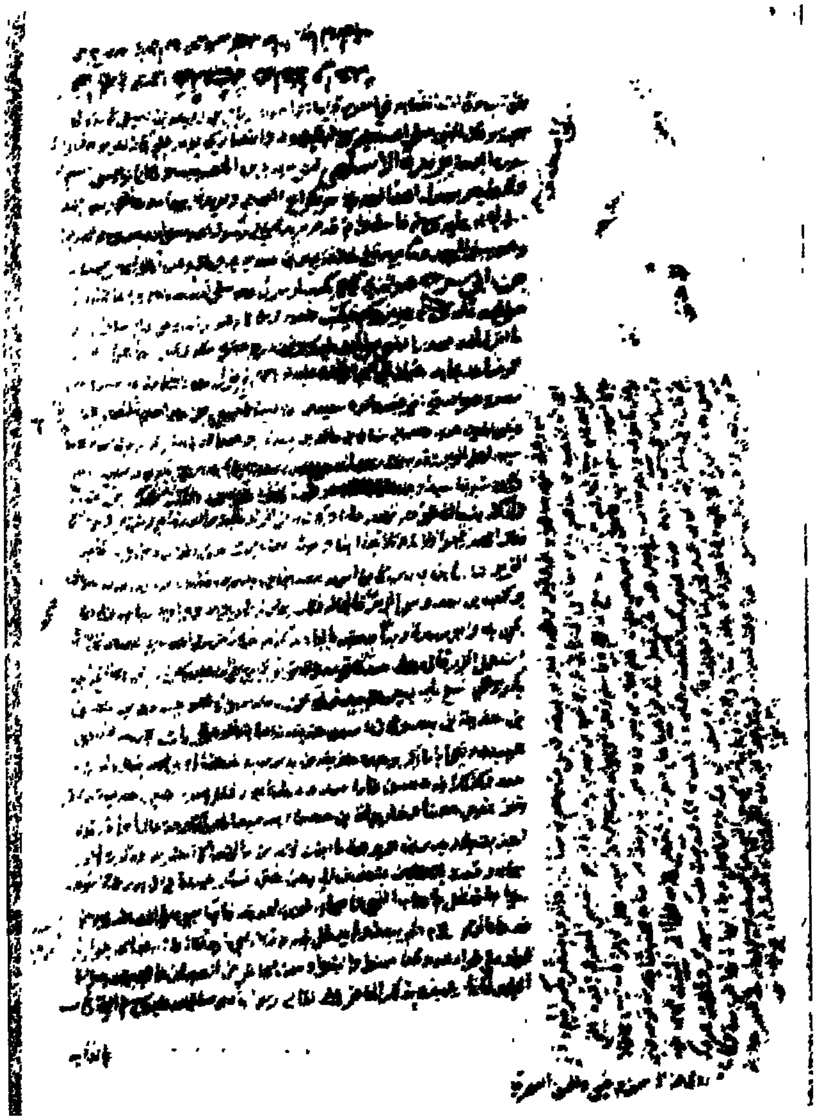
(١) انظر اللوحتين التاليتين .
(٢) الصفحة الأولى من المخطوطة « ق » .
(٣) الصفحة الأخيرة من المخطوطة « ق » .
(٤) صفحة من المخطوطة « ط » .

وهى فى يقينى عن أصل مخالف، يقرب من الأصل الذى أخذت عنه «ب»، «ط» فى شىء، كما يقرب من الأصل الذى أخذت عنه «ق»، «م» فى شىء آخر.

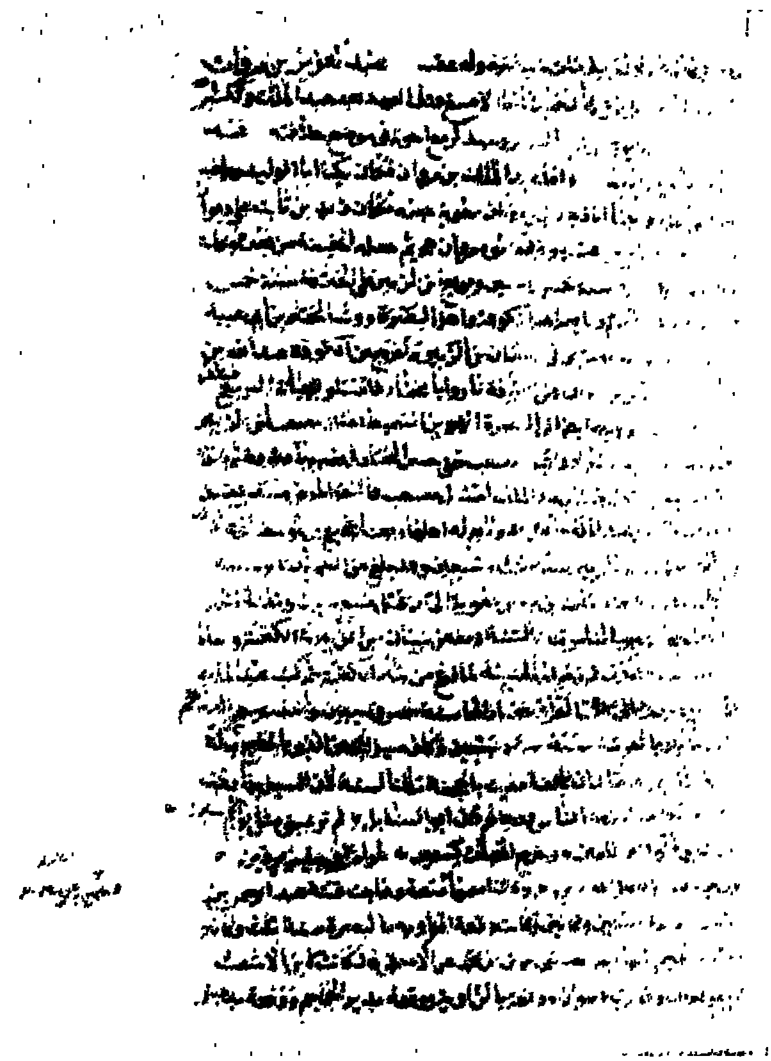


صفحة أولى من المخطوطة « ط »

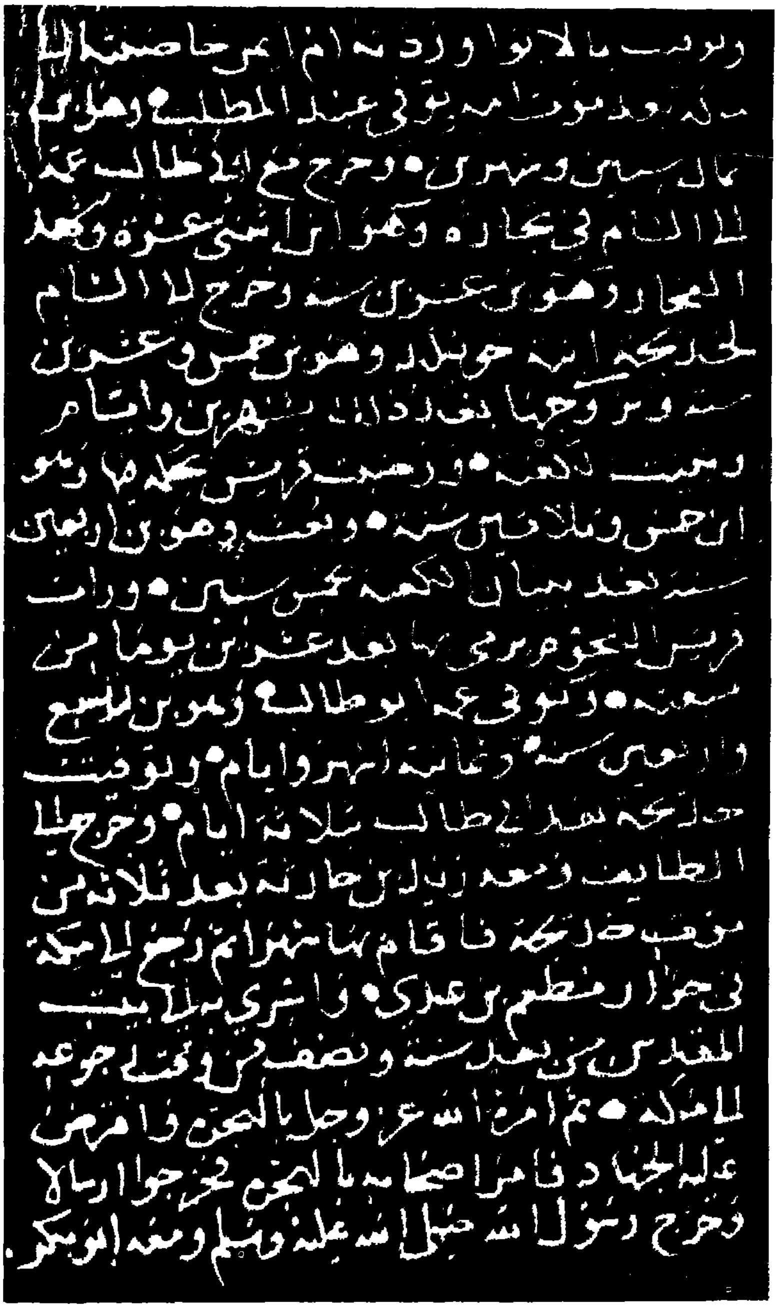
فهي مع الأولى تتفق مع الأصلين في بعض المواضع المنقولة ومع الثانية تتفق في الكلمات وتوجيهها .



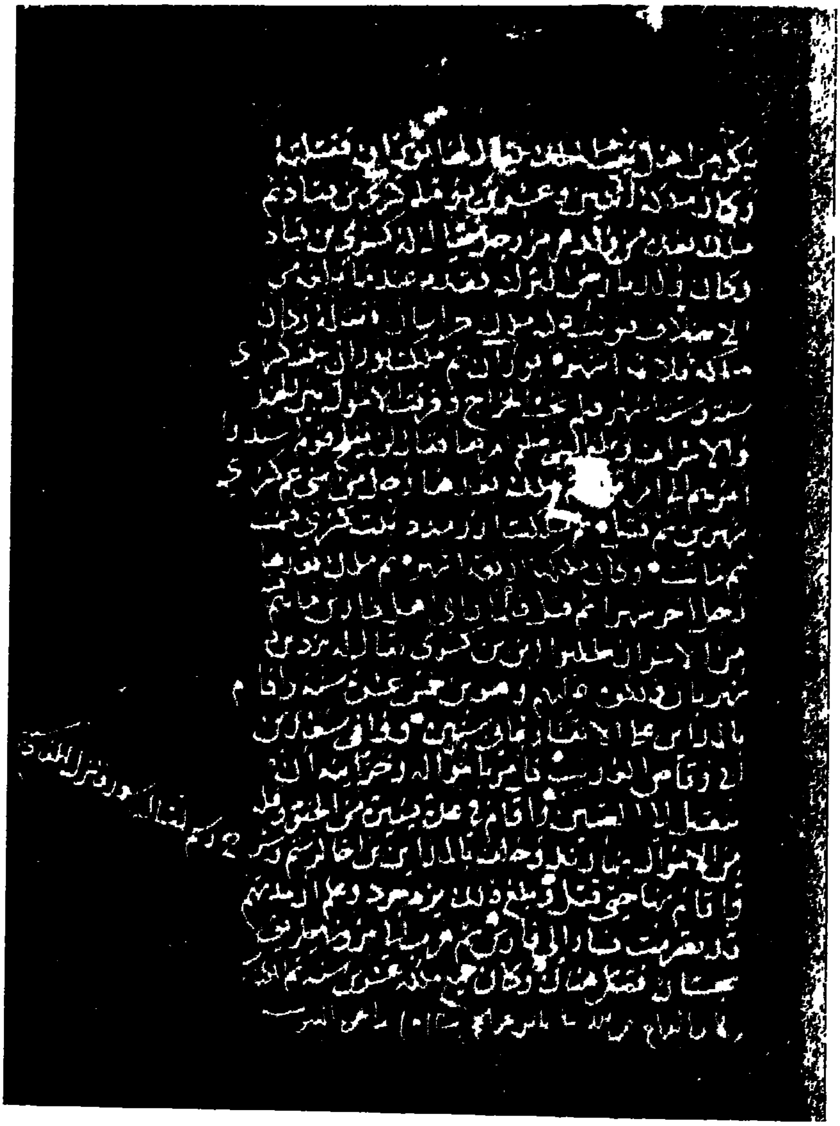
صفحة من المخطوطة « ط »



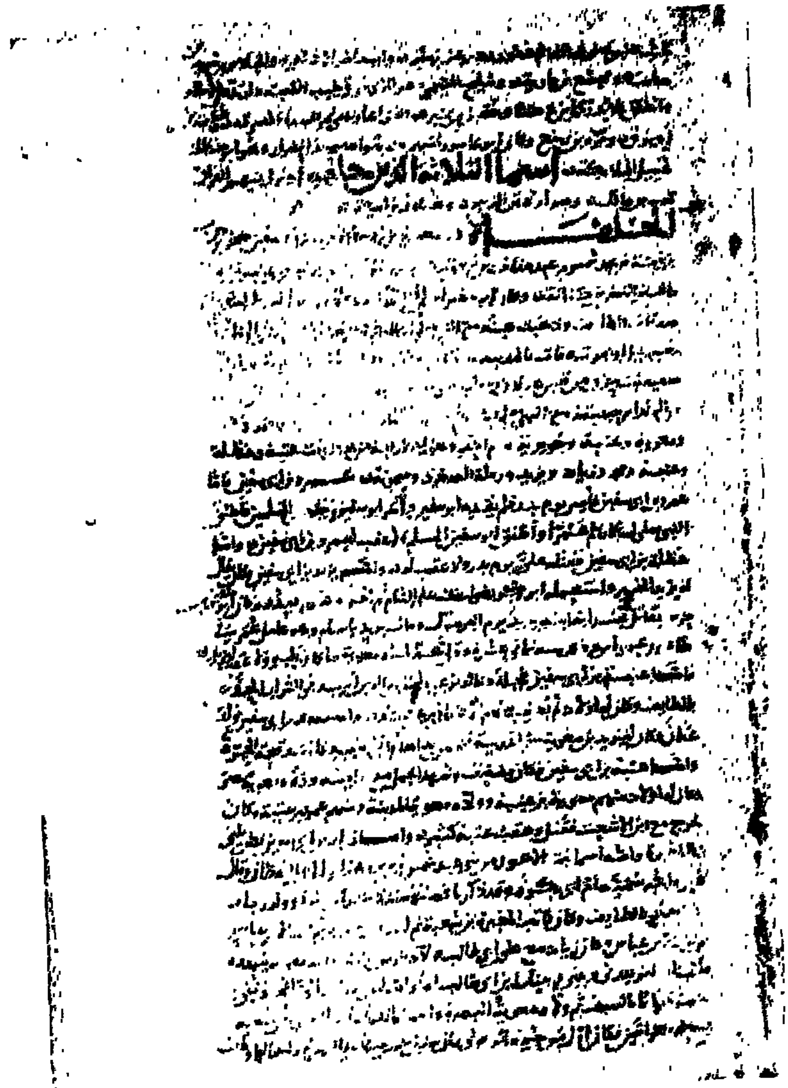
صفحة من المخطوطة « ب »


وتوفيت بالأبواء ورده أم أيمن حاضنته إلى
مكة بعد موتها ثم توفي عبد المطلب وهو ابن
ثمان سنين وشهرين • وخرج مع أبي طالب عمه
إلى الشام في تجارة وهو ابن اثنتي عشرة وبعد
الفجار وهو ابن عشرين سنة وخرج إلى الشام
لخديجة ابنة خويلد وهو ابن خمس وعشرين
سنة وتزوجها بعد ذلك بشهرين وأيام
وبنيت الكعبة • ورضيت قريش بحكمه فيها وهو
ابن خمس وثلاثين سنة • وبعث وهو ابن أربعين
سنة بعد بنيان الكعبة بخمس سنين • ورأت
قريش النجوم يرمى بها بعد عشرين يوما من
مبعثه • وتوفي عمه أبو طالب وهو ابن تسع
وأربعين سنة وثمانية أشهر وأيام • وتوفيت
خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام • وخرج إلى
الطائف ومعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة من
موت خديجة فأقام بها شهرا ثم رجع إلى مكة
في جوار مطعم بن عدي • وأسري به إلى بيت
المقدس بعد سنة ونصف من وقت رجوعه
إلى مكة • ثم أمره الله عز وجل بالهجرة وافترض
عليه الجهاد فأمر أصحابه بالهجرة فخرجوا أرسالا
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر.

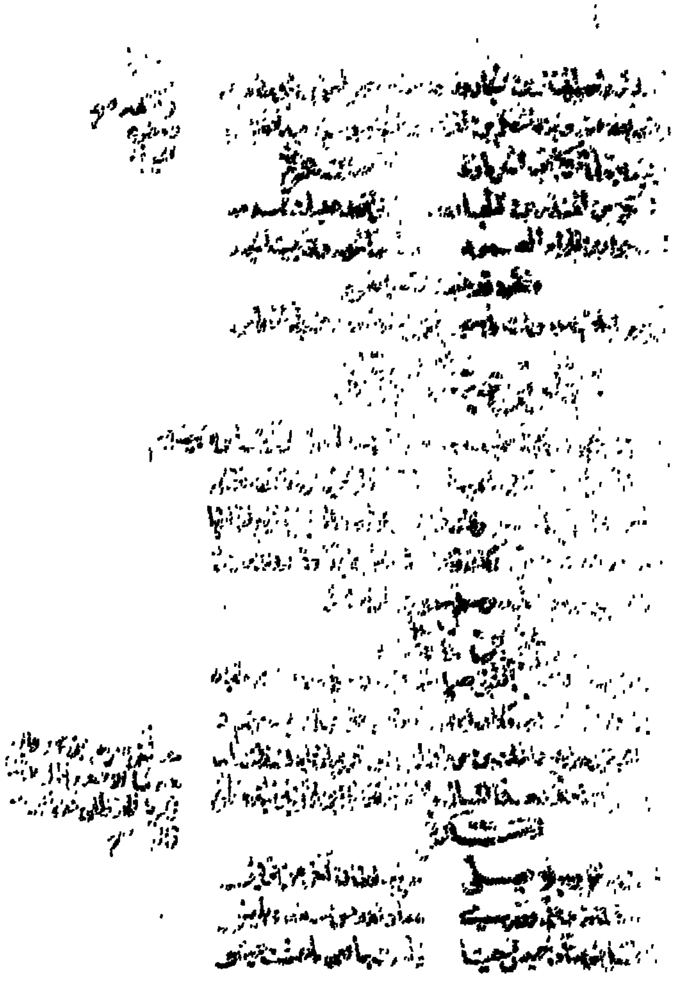
صفحة من المخطوطة « هـ »



صفحة من المخطوطة « م »



صفحة من المخطوطة « ا »



صفحة من المخطوطة « ق »

٥ : م — وهى النسخة الثانية لدار الكتب المصرية، ورقمها ٤٢٩ تاريخ. وكانت فى الأصل من وقف المدرسة الصديقية بحلب، وهى نسخة سقيمة الخط، بها طمس كثير، غير منتظمة الورق، كتبت فى غير اتساق ولا عناية .

وهى على الرغم من هذا سليمة خالية من الحشو .

وأكاد أعد هذه النسخة فـرع من نسخة الشنقيطى، فالاتفاق بينهما واضح، ولافرق بينهما إلا فيما تخالف فيه نسخة نسخة وهى تنقل عنها .

وهذه النسخة تحمل فى صفحتها الأولى عبارة منقولة عن كتاب «جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين» يعنى: ابن تيمية وابن حجر. لمؤلفه الآلوسى نعمان بن محمود بن عبدالله (١٣١٧ هـ) ممـا يدل على تأخر كتابتها عن سابقتها[(١)] .

٦ : هـ — وهى نسخة ليدن، وهى واحدة من النسخ التى اعتمد عليها وستنفيلد، كتبت فى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى، بقـلم عبد القادر بن عبد الرحمن، وكان الفراغ منها فى آخر شهر صفر من شهور سنة ١١٠٧ هـ[(٢)] .

٧ : و — نســخة فينا ، وهى واحدة من النسخ التى اعتمد عليهـا وستنفيلد أيضا . وهذه النسخة والسابقة تقربان كثيرا من النسختين القاهريتين مما يدل على أنهما جميعا من أصل واحد[(٣)] .

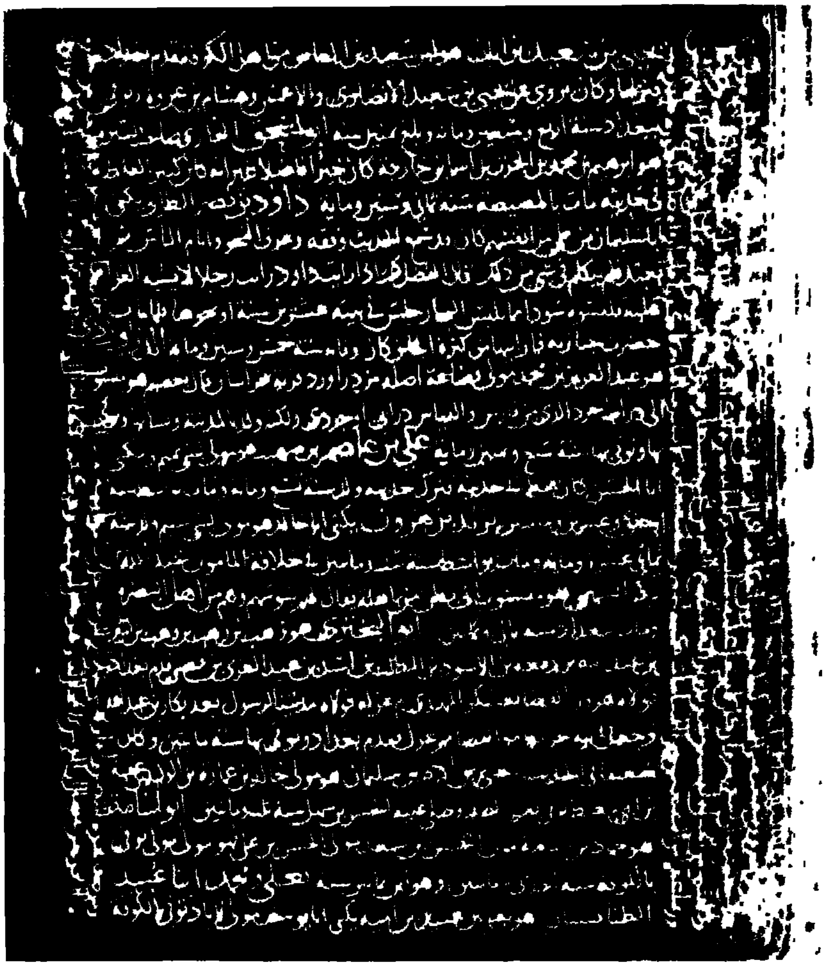
وإليك شجرة تقريبية تبين صلة هــذه النسخ بعضها ببعض[(٤)] .

(١) اللوحة الأولى واللوحة الأخيرة من المخطوطة « م » .

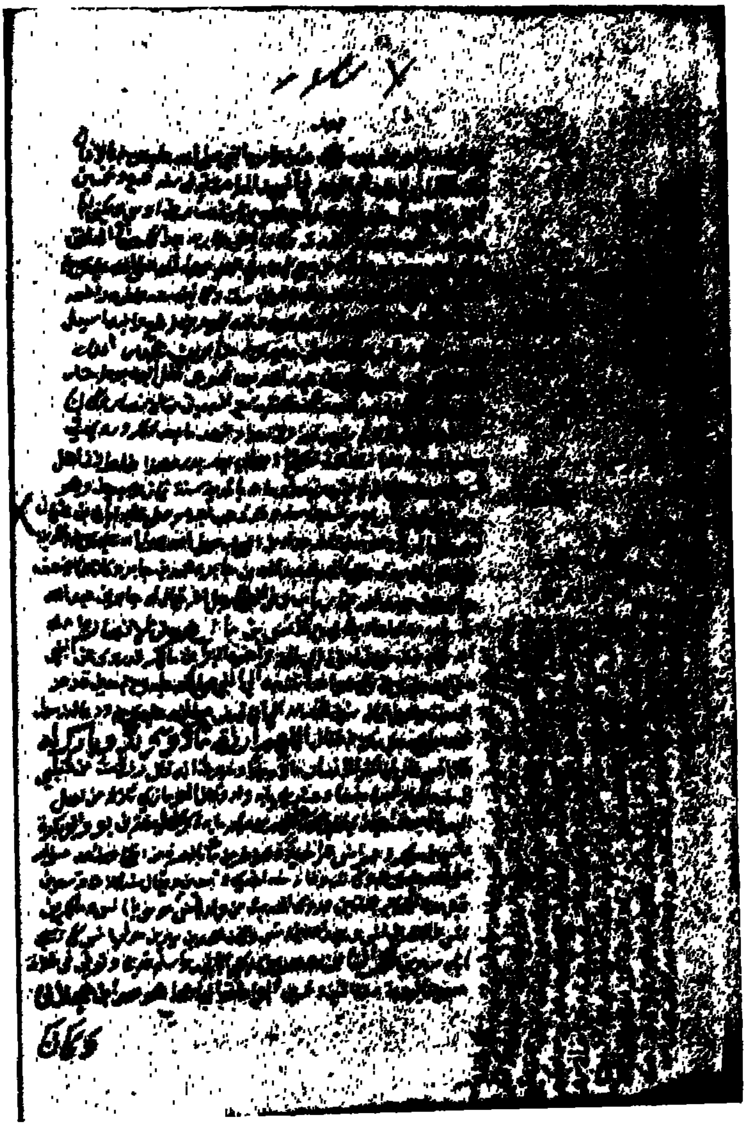
(٢) الصفحتان الأولى والأخيرة من المخطوطة « هـ » .

(٣) الصفحتان الأولى والأخيرة من المخطوطة « و »

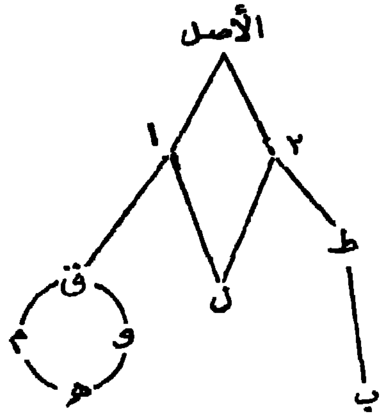
(٤) انظر شجرة أصول الكتاب .



صفحة من المخطوطة « م »



صفحة أخرى من المخطوطة « ط »



وبعـــد :

فلقد كان الخلاف بين هذه النسخ بعيدًا يحتاج إلى الرجوع إليها بجملة مع كل كلمة — ولقد كانت النسخة المصرية الشنقيطية (ق) هى أقربها دائمًا إلى الصواب — كما قدمنا — تجد ذلك فى إشارات كثيرة، كما كانت أبعدها من الحشو، وتخففا من الزيادات والعناوين الدخيلة المضطربة .

وما نشك أن الكتاب تعرض لكثير من الفساد، نسخه الخطية ونسخه المطبوعة، وكان استخلاص هذا منه واستصفاؤه وتحريره شيئا يحتاج إلى الرجوع إلى الأصول، ثم إلى مراجع كثيرة .

وكان لابد من شرح وتعليق يجلو كثيرا من مبهمات الكتاب ومشكلاته، كما كان أن لابد من تعريف برجال السند لنستوثق من اتصال الســند وأنه غير منقطع، وأنه لاتدليس فيه .

كما كان التعريف بغير رجال السند واجبا للتثبت منهم، ولتخليص أسمائهم من تحريف وقع فيها .

وقد خلّصت الكتاب من تلك الزيادات ، التى قطعت بأنها دخيلة ، وجعلتها فى هامشه . وأما غيرها التى لم أقطع فيها برأى ، وكانت تحتمل رأيين ، فتركتها كما هى ، مع الإشارة إلى ذلك .

ولم أهمل جهـد « وستنفيلد » كما لم أهمل جهـد الأستاذين : الصاوى وعثمان خليل . فلم يفتنى الاستئناس بالكتابين المطبوعين .

وقد جعلت نسخة وستنفيلد أصلا من الأصول ورمزت إلى صفحاتها ، وأغفلت الإشارة إلى الخلافات التى فيها ، إذ كانت بين يدى الخطيات التى اعتمد عليها .

حتى إذا ما انتهيت من الكتاب معارضة ومراجعة وتحقيقا وتصويبا ، توّجت هذا كله بفهرست جامع شامل ينتظم :

١ — فهـرس الموضوعات
٢ — » رجال السند
٣ — » الشـعـراء
٤ — » الأعـــلام
٥ — » القبـائل
٦ — » الأماكن
٧ — » الأيـام
٨ — فهـــرس القـــوافى
٩ — » أنصاف الأبيات
١٠ — » الأمثـال
١١ — » الآيات القرآنية
١٢ — » الكتب

* * *

وإنى لأرجو بعد هذا كله أن أكون قد وفقت إلى ما أرجو من إخراج كتاب المعارف فى صورة سليمة صحيحة ما

دكتور
ثروت عكاشه

تعقيب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد ، فقد كانت لى ثمّة كلمة تتصل بالكتّاب وصاحبه ، جاء فى المقدّمة منها شىء ، وجاء فيها شىء لم تضمه المقـدّمة ، وهى بهذا الذى جاء وذاك الذى لم يجئ سيقت مساقا آخر يخالف هذا المساق الذى قدّمتُ به للكتّاب ؛ فلقد كانت تلك دراسة تاريخية عامة ، وهذه دراسة تاريخية موضوعية ؛ تتناول الأولى البيئة فى كل مظاهرها الثقافية ، وتتناول هذه البيئة فى مظهر واحد من تلك المظاهر ، وهو الذى يتصل بنهج كتاب « المعارف » وأمثاله .

وعلى حين لم تتناول الأولى جهد « ابن قتيبة » فى مؤلفه هذا « المعـارف » فى شىء من التفصيل الناقد ، تناولت هـذه عمل « ابن قتيبة » فى هذا التفصيل الناقد ؛ ثم لقد خلت الأولى من التعريف بمخطوطات حصلت عليها متأخرا ، وضمّنت هذه التعريف بتلك المخطوطات .

وهى بعد هذا كلمة قدّمتُ بها لعملى كله بين يدى اللجنـة التى ناقشتنى رسالة الدكتوراه ، أجملتْ وأضافت ، ولخصت وأسهبت .

وقد رأيتها تُتم عملا فلم أشأ أن أحرم هذا العمل من ضمها إليه ، ورأيتها تضيف شيئا ، فلم أشأ أن أحبسه عن القارئ ليشاركنى الرأى فيه .

وأنا على هذا لم أثبت ما كان منها تكرارًا صريحًا ، واجتزأت بمـا كان منها جديدًا أو يُمَهِّـد لجـديد .

ومن الوفاء للعمل أن نطالع به الناس كاملا يستوعب كل ما كان حوله ؛ ماسبقه وما عاصره، وما جاء فى إثر هذا وذاك ، فكل عمل قطعة من التاريخ ، وما أحوج التاريخ أن تجتمع له تلك القطع كاملة غير منقوصة .

وإليك هذه الكلمة مع هذا الإيجاز وتلك الإضافة .

(١)

إن حاجة المكتبة العربيـة إلى الكتب الجامعة لألوان المعرفة، أشـبه شيء بدوائر المعارف الميسّرة، لا تزال حاجة قائمة .

وقد أحسّ السلف هذا فكان لهم فى هذا الميدان جهد موزّع جاء فى الأكثر على صور جزئية، وفى القليل على صور دوائر معارف .

فكان لهم من تلك الصور الخاصة كتبهم التى أفردوها للرجالات :

ا — كان لهم فى الشعر :

(١) طبقات الشعراء لمحمد بن سلام (٢٣٢ ﻫ) .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة . صاحب كتابنا هذا (٢٧٦ ﻫ) .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز (٢٩٦ ﻫ) .

(٤) معجم الشعراء للمرزبانى (٣٨٤ ﻫ) .

ب — وكان لهم كتب جمعوا فيها الأدباء عامة مثل :

(١) يتيمة الدهر للثعالبى (٤٢٩ ﻫ) .

(٢) دمية القصر للباخرزى (٤٦٧ ﻫ) .

(٣) نزهة الألبا بطبقات الأدبا (٥٥٧ ﻫ) .

(٤) خريدة القصر للعماد الأصفهانى (٥٩٧ هـ) .

(٥) إرشاد الأريب لياقوت (٦٢٦ هـ) .

حـ — وكتبهم التى خصوها بالأعيان يجمعون فيها الأدباء والشعراء وغيرهم ممن كان لهم شهرة وصيت، مثل :

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٨١ هـ) .

(٢) فوات الوفيات لابن شاكر (٧٢٤ هـ) .

(٣) أعيان العصر للصفدى (٧٦٤ هـ) .

د — وكتبهم التى أفردوها لطبقات الصحابة مثل :

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٠ هـ) .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (٤٦٣ هـ) .

(٣) أسد الغابة لابن الأثير (٦٣٠ هـ) .

(٤) الإصابة لابن حجر (٨٥٢ هـ) .

هـ — وكتبهم التى ضمنوها تراجم القراء والفقهاء مثل :

(١) طبقات الفقهاء للشيرازى (٤٧٦ هـ) .

(٢) طبقات القراء المشهورين للذهبي (٧٤٨ هـ) .

(٣) طبقات القراء لابن الجزرى (٨٣٣ هـ) .

و — وكتبهم التى خصوها بطبقات المفسرين مثل :

(١) طبقات المفسرين للسيوطى (٩١١ هـ) .

(٢) طبقات المفسرين للداودى (حوالى ٩٤٥ هـ) .

ز — وكتبهم التى خصوها بطبقات الأولياء، مثل :

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى (٤٣٠ هـ) .

(٢) الأنوار القدسية للشرنوبى (٩٩٤ هـ) .

ح — وكتبهم التى خصوها بالنحاة، مثل :

(١) إنباه الرواة للقفطى (٦٤٦ هـ) .

(٢) بغية الوعاة للسيوطى (٩١١ هـ) .

ط — وكتبهم التى أفردوها للحكماء والأطباء، مثل :

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى (٦٤٦ هـ) .

(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (٦٦٨ هـ) .

ى — ثم كتبهم فى طبقات رجال المذاهب، مثل :

(١) طبقات المالكية للقاضى عياض (٥٤٤ هـ) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب السبكى (٧٧١ هـ) .

(٣) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية لابن أبى الوفا القرشى (٧٧٥ هـ) .

(٤) طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلى (٧٩٥ هـ) .

وعلى هذا النحو فى تلك الصور الخاصة ألفوا ؛ ما تكاد تتميز عندهم طبقة ويجمعها طابع واحد أو قريب من أن يكون طابعا واحدا، حتى يخصوها بكتاب أو أكثر .

ولكنهم أحسوا وهم يصدرون فى تلك الناحية التى وفّوها الوفاء كله أن عليهم واجبا آخر لا يقل عن هذا شأنا ، أحسوه فى أنفسهم وأحسوه فى أنفس الناس

من حولهم ، وأنهم لا بدّ لهم وللنـاس من كتب جامعة تجمع تلك المعارف المتفرقة المبعثرة ، بخـدّوا يجمعون ما يستطيعون جمعـه فى كتيبات تمليها عليهم حاجاتهم التى أحسوها ، وموضوعاتهم التى تعنيهم وتعنى البيئة من حولهم .

فكان لهم فى هذا الميدان العام :

(١) المحـبر لابن حبيب (٢٤٥هـ) .

(٢) ــ المعـارف ــ وهو كتابنا هـذا .

(٣) لطائف المعارف للثعالبى (٣٨٣هـ) .

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمى (٣٨٣هـ) .

(٥) ألف بـاء للبـلوى (٦٠٥هـ) .

(٦) التعـريفات للجرجانى (٨١٦هـ) .

ولكن جهدهم فى هذا الميدان العام كان لا شك جهدا مقصوراً، لم يجمع ألوان المعرفة كلها، ولم يستقم ليكون أشبه بدوائر المعارف بمعناها الصحيح؛ إلا أنه على الرغم من هذا كان جهدا سدّ فراغا وأفاد شيئا ما .

وقد أحس الخلف بنقص هذا المجهود، وحاولوا أن يستدركوا ما فات السلف، فتهيؤا لهـذا العمل يحاولون أن يكملوا النقص على قدر ما يسـتطيعون، فكان لهم فى ذلك كتب ، مثل :

(١) المفردات لابن البيطار (٦٤٦هـ) .

(٢) كشاف اصطلاح الفنون للتهانوى (القرن الثانى عشر الهجرى) .

وجاء فى إثر هؤلاء رجال من المدرسة الحديثة يريدون أن يسدّوا الفراغ كله، فجدُّوا فى إخراج دوائر معارف جامعة، ولكنه كان مجهودا فرديا وكان العبء عليهم كثيرا، فوفقوا بعض الشيء، وكان لنا من هذه الدوائر:

(١) دائرة المعارف للبستانى (القرن الثانى عشر).

(٢) « « لوجدى (القرن الثالث عشر).

⁂

وهكذا نرى أن المكتبة العربيـة كانت غنية بتلك الكتب الخاصة، فقيرة من تلك الكتب العامة، على الرغم من قيمة تلك الكتب العامة ونفعها لأبناء الأجيال المتعاقبة التى عاشت عليها.

ومن سـوء حظ المكتبة العربية أن هـذه الكتب العامة لم يكتب لبعضها الظهور إلا فى وقت متأخر.

فقد طبع كتاب «المحبر» لابن حبيب سنة ١٩٤٢م، بعناية مستشرقة ألمـانية هى الآنسة «الزا لشتن اشتيتر».

ومن قبله طبع كتاب «المعارف» بعناية المستشرق وستنفلد سنة ١٨٥٠ م، كذلك طبع الكتاب «التعريفات» للجرجانى فى باريس سنة ١٨٤٥ م، كما طبع كتاب «مفاتيح العلوم» للخوارزمى فى ليدن سنة ١٨٩٥ م.

وكانت هذه الطبعات الأوربية من الندرة بمكان فى الأسواق الشرقية، ممـا لفت بعض الناشرين إلى إعادة طبع بعضها، فطبع كتاب «المعارف» فى مصر كما طبع كتاب «التعريفات» «وكتاب مفاتيح العلوم»، ولكنها طبعات للأسف لا تعين قارئا على القراءة فيها.

*
* *

وكان كتابا المحبر والمعارف عندى هما أغنى هــذه الكتب بالمواد . وكان أولها حديث عهد بالطبع ، وكان ثانيهما قد مضى على إخراجه ما يُربى على قرن . وكان أن توفّرت لدى منه نسخ خطية أخرى فاتت الزميل الكريم الراحل «وستنفلد» الذى عنّى نفسه بإخراجه . وكانت هذه النسخ تستدرك كثيرا ، وتشير إلى خلاف كثير .

من أجل هذا كله خصصت هذا الكتاب — أعنى كتاب «المعارف» — بجهدى ، وفرغت أجمع له أصوله الخطية ماوسعنى الجهد ، لأخرجه فى صورة جلية واضحة .

(٢)

وفى ظل ذلك الإحساس العــام الذى أشرت إليه اتجه « ابن قتيبة » لتأليف هذا الكتاب يريد أن يجمـع للناس تلك المعارف المختلفة التى يعنيهم أن يعرفوها ، ويعنيهم أن يجدوها مجموعة فى كتاب واحد .

وما نأخذ على « ابن قتيبة » أنه جمع شيئا وأهمل شيئا ، بل علينا أن نناقشه ؛ ناظرين إلى حاجة العصر الذى كان يعيش فيه .

فحاجة العصر الذى كان يعيش فيه « ابن قتيبة » كانت تملى عليه أن يكون بين الناس مثلُ هــذا الكتاب الجامع ، الذى يمكّن الكاتب من أن تتــوفر له حصيلة علمية تاريخية أدبية ، مجموعة مبوّبة .

وإن الشعور الذى أملى على «ابن قتيبة» أن يؤلف كتابه «أدب الكاتب» ليبصّر الكاتب بمــا هو فى حاجة إليه وما يجب عليه ، هو الشعور الذى أملى على « ابن قتيبة » أن يؤلف كتابه « المعــارف » ليجمع بين يدى الكاتب ما يحتاجه من معــرفة ، بعد ما جمع له ما يحتاج إليه من تقويم اللسان ، وبعد أن بصّره بشئون الكتابة .

(١) فلا بدّ للكاتب من أن يلمّ بالتاريخ إلمامة سريعة .

(٢) ولا بدّ للكاتب من أن يلم بالأنساب العامة مختصرة، حتى لا يفوته من ذلك شيء، وحتى لا يخلط بين قبيلة وقبيلة .

(٣) ولا بدّ للكاتب من أن يعرفْ جملة من مشهورى الأدباء والعلماء .

(٤) ولا بدّ للكاتب من أن يعرف أخبارا منسقة يجتمع أصحابها تحت نسق، تكون أشبه شيء بالطُّرف بين يديه .

(٥) ولا بدّ للكاتب من أن يعرف أخبـار الأمم التى اتصلت بالعرب حتى لا يجهل شيئا من ذلك .

وفى هذه العجالة المختصرة قدم «ابن قتيبة» كتابه « المعارف » يريد أن يبصّر الناس بشىء لا يسعهم جهله .

(٣)

ولكنا لانشك فى أن «ابن قتيبة» كان فى كتابه هذا عجلا كل العجلة؛ لهذا جاء هذا الكتاب مختصرا . كما أعجلته هـذه العجلة عن أن يتابث قليلا مع ما يروى ، إلا حين يشرح كلمة لغوية أو يضيف شيئا بهذا الشرح اللغوى .

١ — فهو حين عرض للذبيح مثلا (ص ٣٧) :

(١) لم يكلف نفسه عناء الاستقصاء فى مسألة كهذه ، حولها كلام كثير ومعها رأى لجمهرة المسلمين مدلل عليه مقرّب بالبراهين، وهى مسألة لا يُكتفى فيها بسوق النتيجة على هـذا الوجه من الاقتصار الذى انتهجه « ابن قتيبة » .

لم يناقش الخلاف بين التوراة والقرآن ولم يرجح أحد الرأيين على الآخر، وإنمـا عرض الرأى مع الخلاف فيه، دون أن يقول شيئا !

(٢) ثم هو قد أورد ما أورده غيرُه، نقلا عن تلك الإسرائيليات بما فيها من تخليط .

(٣) وعذر « ابن قتيبة » عذر غيره من المؤرخين الذين اعتمدوا النسخة العربية من التوراة دون الرجوع إلى النسخ الأخرى منها المترجمة إلى العبرية واليونانية مثلا[1] .

ب — ثم هو حين عرض لآدم (ص ١٤ — ١٨) :

(١) تورط فى ذكر المكان الذى نزل عليه .

(٢) ووصفه بأنه كان أمرد وإنما نبتت اللحى لأبنائه من بعده .

حـ — ثم هو حين عرض للحديث عن الأنبياء :

(١) لم يتخلص من تلك الصفات الجسمية التى وصفهم بها من غير مستند .

(٢) وأورد الكلام عن أعمارهم ، والأدلة العقلية كلها تردّ ما أورد .

ولكنا إن عذرنا « ابن قتيبة » وعذرنا معه المؤرخين على هذا ، فلا نعذرهم على استماعهم للرواة ينقلون عنهم كل شىء من غير تحرّ ؛ همّهم أن يجمعوا ، وهمّهم أن يشوّقوا ، وهمّهم ألا يقال عنهم إنهم جهلوا شيئا أو سكتوا عن شىء .

غير أنا نعتقد أن هذا الذى كتبه « ابن قتيبة » نقلا عن غيره كان شيئا لا بدّ منه ، فلقد كان هذا غاية ما وصل إليه العلم حينئذاك، حين لم يصل إلى ما وصل إليه اليوم .

(١) انظر كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله أفندى .

وكان من الخير للناس أن يعيشوا على شيء فيه الحق والباطل من أن يعيشوا على لا شيء .

وإذا جاوزنا هذا القدر الغامض ، الذى كان من الصعب على « ابن قتيبة » أن يسوق فيه غير ما ساق ، نجد « ابن قتيبة » قد عرض لأشياء أخرى كانت كل وسائلها بين يديه ولا عذر له فيها إن قصر .

وإنا إن وقفنا مع « ابن قتيبة » فى هذا الذى أورده من ذلك ، ومعه مراجعه ، لا نأخذ عليه إلا أنه كان مختصرا اختصارا يكاد يكون معيبا :

(١) فنجده حين أورد بابه فى الأنساب لم يورد من ذلك إلا ما يعد رؤوسا لموضوعات .

(٢) ونجده لم يذكر تحت رؤوس الموضوعات هذه إلا القليل المشهور .

وكان هذا نهجه بعد ذلك فيما أورد من أبواب أخرى ، يلجأ إلى هذا الاختصار الشديد الذى لا يفيد كثيرا .

ولعل «ابن قتيبة» قصد إلى هذا قصدا ، وألزم نفسه بأن يضع معجما — إن صح هذا التعبير — فى «المعارف» . فهو يقول فى مقدمته :

«وقلّ مجلس عُقد على خيرة ، أو أُسس لرشد ، أو سلك فى سبيل المروءة ، إلا وقد يجرى فيه سبب من أسباب المعارف . . : إما ذكر نبى أو ذكر ملك أو عالم أو نسب أو سلف أو زمان أو يوم من أيام العرب ، فيحتاج من حضر إلى أن يعرف عين القصد» .

وهكذا يكشف عما قصد إليه « ابن قتيبة » ، فلقد قصد إلى أن يسوق رؤوس الموضوعات ولا يعنيه التفصيل .

ولئن صح هـذا فلا تثريب على « ابن قتيبـة » فى اختصاره ، ولا تثريب عليه فى أنه لم يُطل .

(٤)

لقـد كان « ابن قتيبة » — شأنه شأن الرواة والمؤلفين القـدامى — ينقل ما ينقل راويا عن الرواة .

وكان هذا نهجه فى سائر الكتاب غير بابه الأول « مبتدأ الخلق » .

(١) فهو فى هذا الباب الأول اعتمد على الإسرائيليات كثيرا ، يصرح بنقله عن التوراة حينا ولا ينقل عنها بنصها ، ويصرح بنقله عن «وهب بن منبه» حينا آخر .

(٢) وما عاصر « ابن قتيبة » « وهب بن منبه » ولا أخذ عنه . فـ « وهب » كانت وفاته سنة ١١٠ هجرية ، أى قبل ميلاد « ابن قتيبة » بنحو من قرن تقريبا .

(٣) ولقد نقل غير « ابن قتيبة » عن « وهب » كالطبرى بمثل هذا السند المنقطع ، كثيرا من الأخبار التى نقلهـا « ابن قتيبة » من هذه الإسرائيليات ، فإلى « وهب » يُعزى الكثير منها ، كما عُزى إلى « كعب الأحبار » .

(٤) وكما لم يُعْنَ المؤرخون القدامى بتحليل هذه الإسرائيليات ، وإنما اكتفوا بروايتها فحسب ، كذلك فعل «ابن قتيبة» هو الآخر ، وكان فى استطاعتهم أن يجردوا هـذه الإسرائيليات ممـا ينافى العقل ويأباه المنطق . ولقد كان بين يدى المؤرخين المسلمين — ومنهم « ابن قتيبة » — القرآن الكريم يريحهم من كثير ممـا أوردوا ، لو التزموا ما أورد القرآن من سيرة الأنبياء ، ولم يكلفوا أنفسهم العناء فى رواية غيره .

وإذا جاوزنا هذا الباب الأول إلى غيره من الأبواب الأخرى رأينا « ابن قتيبة » لا يذكر مرجعا، فهو لم يقل : من أين أخذ حديثه عن أنساب العرب ! لا يذكر هناك شيخا أخذ عنه ولا مرجعا رجع إليه .

حتى إذا ما جاوز ذلك إلى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم استقامت لنا خطة « ابن قتيبة » .

(١) فهو يصرح باسم « ابن إسحاق » أول من ألف فى السيرة ، المتوفى سنة ١٥٢ هـ .

(٢) كما يصرح باسم « الواقدى » صاحب المغازى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

وبذلك نستطيع أن نجزم بأن « ابن قتيبة » اعتمد فى هذا الباب على كتابين، الأول لابن إسحاق فى السيرة، والثانى للواقدى فى المغازى .

وإذا ما جاوزنا ما نقله عن التوراة وما نقله عن ابن إسحاق والواقدى رأينا « ابن قتيبة » :

(١) يقف أحيانا موقف الراوى بالسند متصلا، وهو الراوى الأخير فيه .

(٢) وأحيانا يسوق السند متصلا دون أن يكون هو موصولا به .

وهو على تلك الحال الثانية يفيدنا أحد شيئين :

(١) إما أنه عثر على هذا الخبر بسنده فى مرجع ما فنقل الخبر بسنده ولم يشر إلى المرجع .

(٢) وإما أن هذه الأخبار — وهى فى عهدها الأول عهد الرواية — كانت ملكا لأن يستغلها كل مؤرخ ، فاستغلها « ابن قتيبة » ، وهو واحد من هؤلاء المؤرخين القدامى، لا يعنيه أن يسبقه واحد بتدوينه .

وإنا إذا ذكرنا أننا بين يدى كتاب قديم، فنحن لا نطمع فى أكثر مما فعله « ابن قتيبة » .

(٥)

وقد جهدت أن أجمع لهذا الكتاب أصوله الخطية ما وسعنى الجهد، لا أستثنى تلك المخطوطات التى اعتمد عليها « وستنفلد » ، فإذا بين يدى منها سبع مخطوطات . وقد عرّفت بها .

ثم لم ألبث بعد أن فرغت من الكتاب أن وقع لى منها ثلاث، وهى :

(١) نسخة رضا رامبور ، برقم ٣٥٢٨ (الهند) .

وهى ١٨٢ ورقة ٢٥ سطرا ١٧,٥ × ٢٦ سم .

وتاريخ نسخها سنة ٥٠٠ هـ .

والأوراق الأخيرة بخط نسخ قريب من التجويد . والنسخة كاملة النقط ، بها ضبط قليل يكاد يكون كله على ما غمض من الحروف .

وبها طمس كثير ذهب ببعض الأسطر وطغى على جزء من الصفحات، كما طغى على معظم صفحات أخرى .

وهى ناقصة من أوّلها .

وسائر النسخة بخط بين المشرقى والمغربى غير مجوّد مع عناوين بالخط الكوفى القريب إلى التجويد .

وهى قريبة الشبه بالمخطوطة (ق) التى عثرنا عليها فى دار الكتب المصرية .

(٢) نسخة الأحمدية — جامع الزيتونة برقم ٥٠١٧ (تونس) .

وهى فى ١٣٥ ورقة ١٧ × ٢٣ سم . ٢٤ سطراً .

وتاريخ نسخها سنة ٦٠٠ هـ .

والنسخة بخط أقرب إلى الكوفى، وإن لم يجر على قواعده كلها، مشكولة شكلا يكاد يكون تاما .

وعلى هامشها بعض تعليقات تشير إلى مراجعتها على نسخة أخرى . ويضطرب العنوان فى صفحتها الأولى فيكتب مرة باسم « عوارف المعارف » ثم يضرب عليه ويكتب بدله بخط آخر « كتاب المعارف » .

وهذا العنوان الجديد يبدو أنه هو خط مراجع النسخة ومعارضها .

وتكاد تتفق هذه النسخة مع نسخة (ل) التى عثرنا عليها فى المتحف البريطانى، فهما تحملان عنوانا واحدا، وتكاد تكون الأخطاء هى الأخطاء .

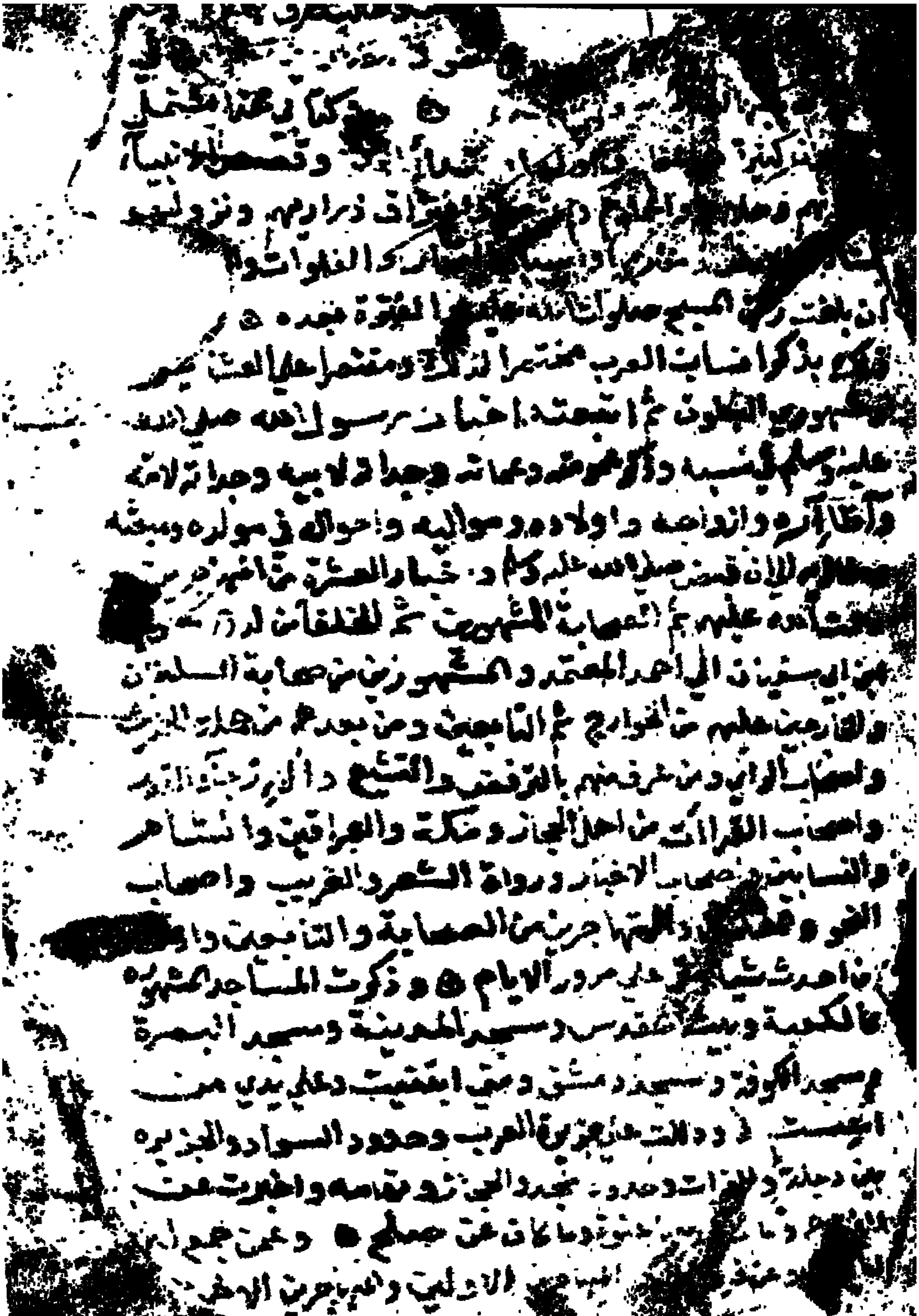
(٣) نسخة مكتبة الفاتح بإستانبول رقم ٤٤٤ .

وهى فى ١١٧ ورقة ١٣ × ١٨ سم . ٢٠ سطراً .

وهى مكتوبة بخط نسخ قديم، ناقصة من أولها . وأول ما فيها الكلام على معاوية بن يزيد بن معاوية .

ويبدو أن هذا المخطوط يرجع أصله إلى مصدر آخر، إذ لا تشابه بين نهجه وبين نهج المخطوطات التى بين أيدينا .

وبهذا المخطوط كثير من الأخطاء التى تظن أن المرجع فيها إلى الناسخ .


[illegible]

[illegible] وكتب [illegible] مشتمل

[illegible] وتصحف الانبياء

[illegible] ذراريهم ونزولهم

[illegible]

ان بعث رسول الله صلوات الله عليه بالنبوة بعده ٥

ثم بذكر انساب العرب مختصرا لذلك ومقتصرا على العشر [illegible]

[illegible] البطون ثم اتبعته اخبار رسول الله صلى الله

عليه وسلم ونسبه [illegible] وجدا [illegible] وجدا [illegible]

وآثاره وازواجه واولاده ومواليه واحواله في مولده ومبعثه

[illegible] الى ان قبض صلى الله عليه وسلم واخبار العشرة [illegible]

[illegible] الله عليهم ثم الصحابة المشهورين ثم الخلفاء [illegible]

[illegible] ابي سفيان الى احمد المعتمد والمشهورين من صحابة السلطان

والقارعين عليهم من الخوارج ثم التابعين ومن بعدهم من حملة الحديث

واصحاب الرأي ومن عرف منهم بالرفض والتشيع [illegible]

واصحاب القراءات من اهل الحجاز ومكة والعراقيين والشام

والنسابين واصحاب الاخبار ورواة الشعر والغريب واصحاب

النحو [illegible] التي جرت بين الصحابة والتابعين [illegible]

من امر [illegible] على مرور الايام ٥ وذكرت المساجد المشهورة

كالكعبة وبيت المقدس ومسجد المدينة ومسجد البصرة

ومسجد الكوفة ومسجد دمشق [illegible] بين يدي [illegible]

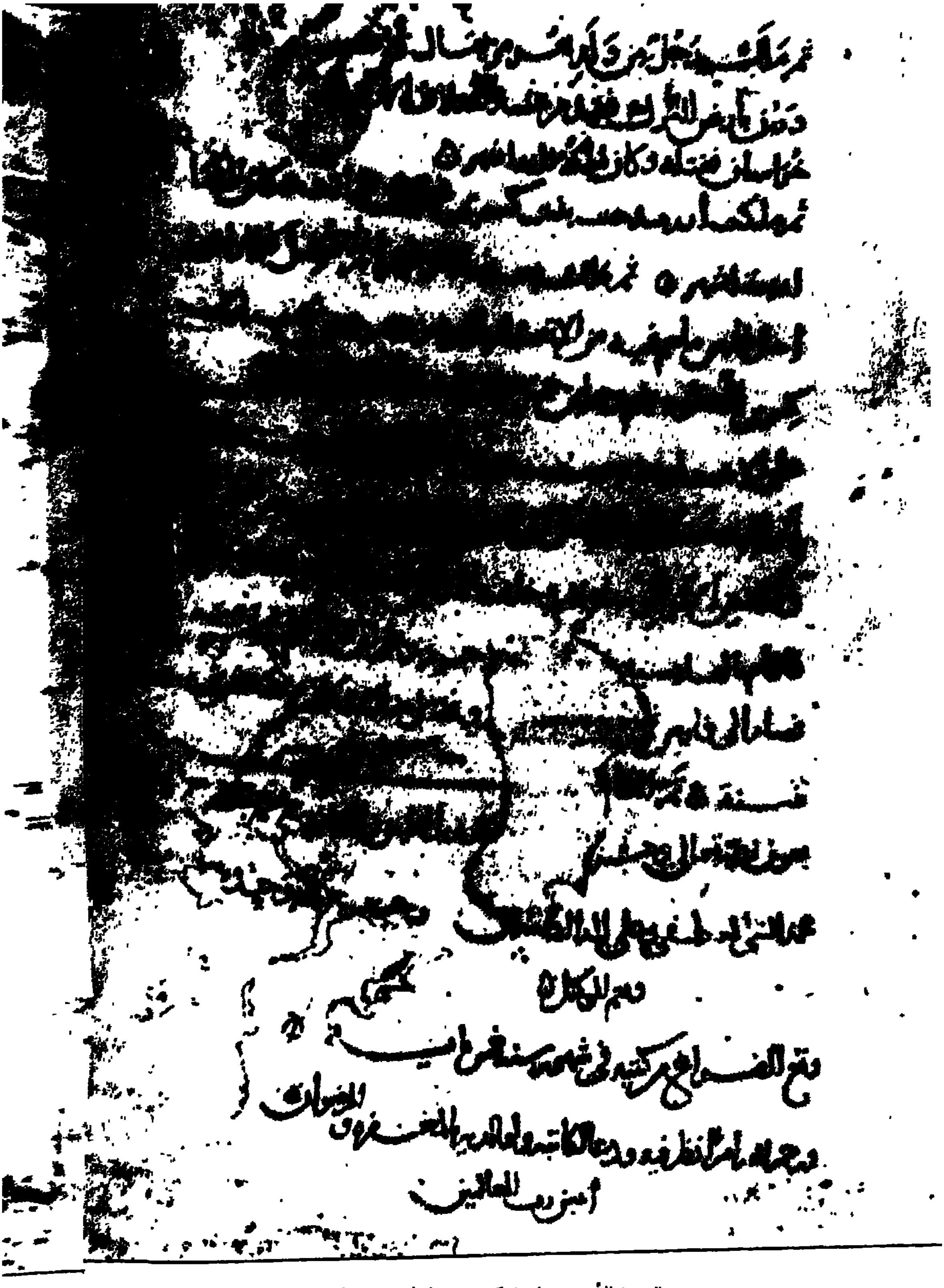
[illegible] جزيرة العرب وحدود السواد والجزيرة

بين دجلة والفرات [illegible]

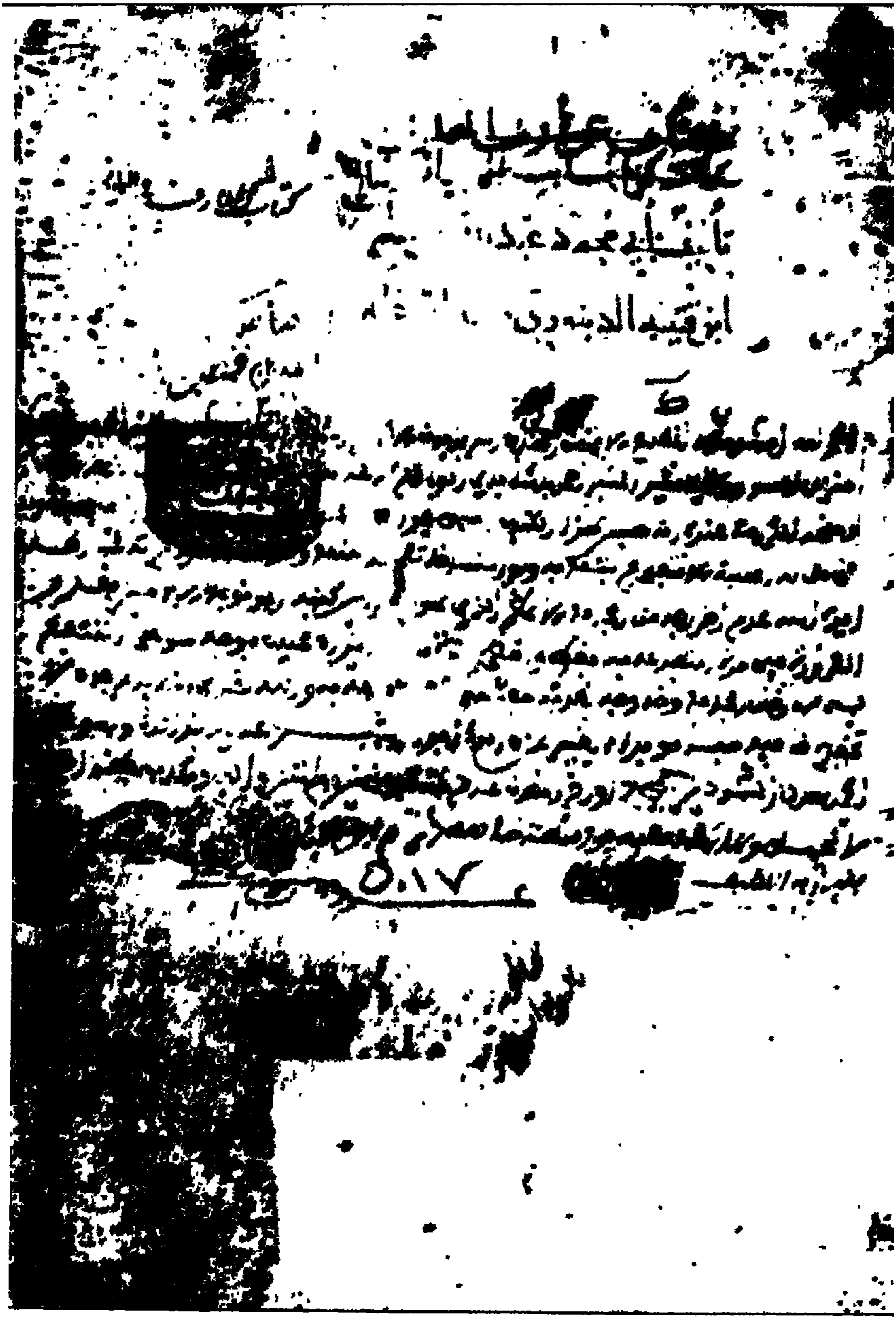
[illegible] وما كانت [illegible] ٥ [illegible]

[illegible] الاولين والآخرين [illegible]

الصفحة الأولى من نسخة « رضا رامبور » بالهند


وتم الكتاب
آمين رب العالمين

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة « رضا رامبور » بالهند



الصفحة الأولى من نسخة المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة بتونس

[illegible] وولت القناة تتبع بالنبل أردانها
كمجهل لا يقيل من الليل ويصطال دعوه ما قال الابيات
ملتقاتنا   المغيرة بن شعبة   يكنى ابا عبد
الله من ثقيف وعمه عروة بن مسعود الثقفي وكان عروة اسلم
على عهد رسول الله ودعى قومه الى الاسلام فقتلوه فقال
صلى الله عليه وسلم مثله مثل صاحب يس وكان المغيرة صحب
قوما من المشركين الى مصر فقتلهم غيلة واخذ ما معهم واتا
النبي عليه السلام وشهد معه الرضوان وشهد اليمامة وفتوح
الشام واليرموك والقادسية وولاه عمر البصرة فافتتح ميسان
وابو الحسن البصري وابو محمد بن سيرين من سبي ميسان
وافتتح دستميسان والرقاذ وسوق الاهواز وهمذان وشهد
بدرا وكان على ميسرة النعمان بن مقرن وهو اول من وضع
ديوان البصرة ويقال انه احصن ثمانين امراة وقيل انه
انه اعور نعيم فقالت هو والله عسل يمانية في ظرف سمن
بلغت الاو [illegible] الطاعون سنة خمسين وقال الجوهري سنة

عبد الرحمن بن يزيد فكان من افضل اهل زمانه وعبادهم

واما معوية بن يزيد فولي الخلافة بعد يزيد وهو ابن سبع

عشرة سنة ولم يعقب [illegible] بن معويه

قال ابن اسحق وليها عشرين يوما وكان يكنى ابا ليلى

وفيه يقول الشاعر [illegible] الملك بعد ابي ليلى لمن غلبا

ولا عقب لمعوية بن يزيد وعقب يزيد من غيره من ولده

[illegible] ولما هلك معوية بن يزيد بن معوية [illegible]

الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف

بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر

بن مالك بن النضر بن كنانة وكان يكنى ابا عبد الملك

وابوه الحكم بن ابي العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم

واسلم يوم فتح مكة ومات في خلافة عثمان وكان سبب

طرد رسول الله صلى الله عليه اياه انه كان يفشي سره

[illegible] فلعنه وسيره الى الطائف [illegible] حياة رسول

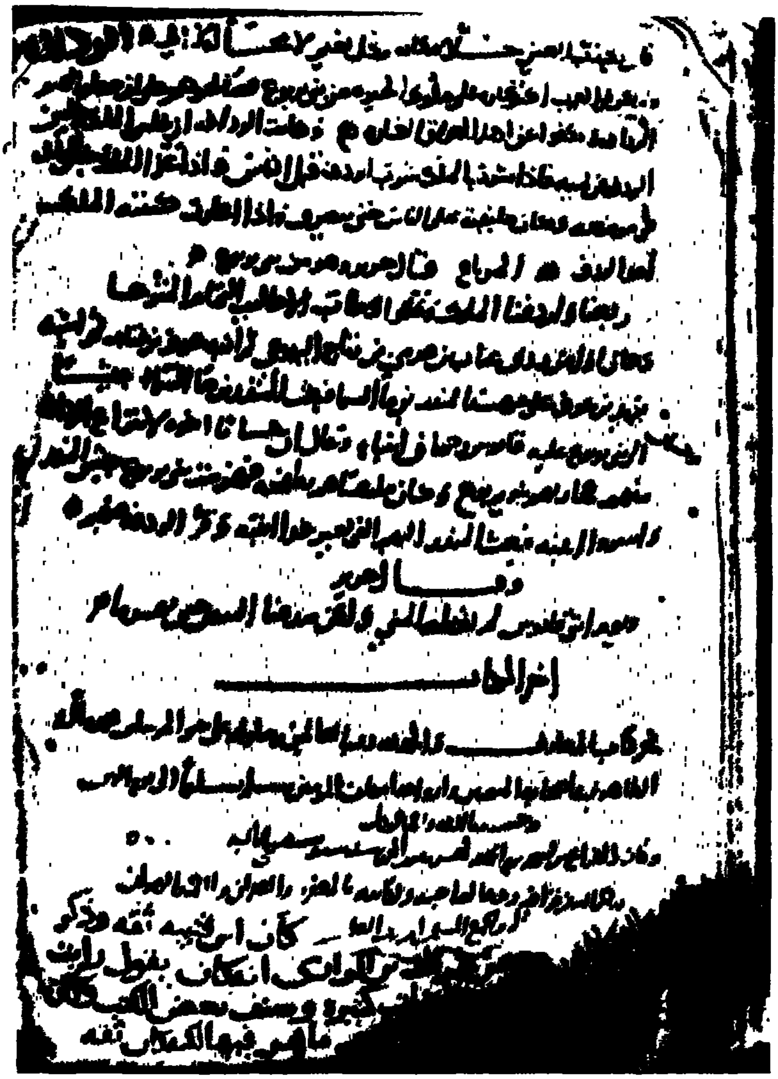
الله صلى الله عليه وخلافة ابي بكر وعمر ثم ادخله

عثمان واعطاه مائة الف درهم وكان للحكم من الولد

واحد وعشرون ذكرا وثماني بنات وكان

مروان بن الحكم [illegible]

الصفحة الأولى من نسخة جامع الفاتح باستانبول



الصفحة الأخيرة من نسخة جامع الفاتح باستانبول

*
* *

وأرانى، وإن فاتنى الرجوع إلى هذه الأصول الثلاثة أولا، قد رجعت إليها آخرا، ولم آسف على هذا الذى فاتنى كثيرا لأنى لم أجد خلافا يغير شيئا، وإن كنت قد أسفت حين فاتنى أن أضم إلى وجوه الخلاف التى بالهامش نسخا أخرى تحمله .

ولكنى قد حرصت أن أعرّف بتلك النسخ الثلاث، وأن أكبّر منها بعض اللوحات لأضمها هنا إلى المقدّمة قبل إصدار الكتّاب .

(٦)

وبعد . فها هو ذا أثر من آثار « ابن قتيبة » الأديب العالم المؤرخ .

(ا) أما عن أدبه فحسبنا جميعا كتابه «أدب الكاتب» وخطبته الطويلة التى صدّر بها الكتّاب . وحسبنا تلك الشهادة التى شهد بها عالم جليل، هو ابن خلدون حيث يقول :

« وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن — يعنى الأدب — وأركانه أربعة دواوين، وهى :

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة .

(٢) الكامل للمبرد (٢٨٥ هـ) .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ (٢٤٥ هـ) .

(٤) النوادر لأبى على القالى (٣٥٦ هـ) » .

وحسبنا ما جمعه « ابن قتيبة » من كتب فى الأدب مثل « عيون الأخبار » و « الشعر والشعراء » . واختيار المرء قطعة من عقله وذوقه، كما يقولون .

(ب) وأما عن علمه فحسبه كتبه فى الحديث والقرآن وغيرها من كتب فى الأشربة والميسر والقداح .

(ج) وأما عنه مؤرخا ، فحسبه هذا الكتاب « المعارف » .